

النجفي

صوفية الغربيّة



رحل هذا الشاعر منذ ميلاده في النجف الأشرف عام ١٨٩٧ وحتى وفاته في مطلع شهر تموز من هذا العام متهوفاً بالمخاطر الماثلة بالملاسي، ولكنّها حافلاتها المعطاء بعد ثورة العشرين، والتي كانت انتفاضة ضد الحكم الاستعماري، فر النجفي من العراق إلى الكويت، وأقام فترة قصيرة عمل خلالها في شغل البناء. ثم عبر الخليج على قارب صغير إلى إيران. وفي عرض البحر تحطم القارب، وكان النجفي الشاب يخاف البحر مثل ابن الرومي. وعلى بقايا صندوق خشبي توسد صفحة الماء كآخر محاولة للبقاء. وكان ذلك اللوح الخشبي يحمل فوقه واحداً من أعلام الشعر العربي في الخمسين سنة القادمة، وعبر به قارب صيد، فنقله ملاحوه إلى إيران. وهناك بدأت حياة الشاب تتخذ منحى جديداً، فقد تعلم الفارسية، كما انكب بنفس الوقت على التعمق في دراسة اللغة العربية والشعر الجاهلي بشكل خاص. ولم يمض وقت طويل حتى اتقن النجفي اللغة الفارسية، وقام فيها بعد ترجمة بعض النصوص والأشعار الفارسية، كان أهملها ترجمته لرباعيات الخيام. ومع أن عدداً من الترجمات للرباعيات إلى العربية قد ظهرت فيما بعد، بيد أن ترجمة الصافي النجفي ظلت هي الأفضل، وهي التي ظهرت في طبعة لندن الشهيرة لرباعيات الخيام مع

في دمشق، يعرفونه جيداً، ويستغربون أمره، يعرفونه رجالاً تكبر السنون فوق وجهه، وملاحة القاسية تزداد وضوحاً عاماً بعد عام. وقد انتخب ركناً قصياً خلف زجاج مقهى «إنها مانا» المثل على قلب المدينة النابض بالحركة والحياة، في هندام عربي مهممل للغاية، كوفية بيضاء وعقال أسود، وجلباب فضفاض، وفنجان قهوة سوداء، ونظرة شاردة، وجزيرة صمت رزين وسط ضجيج المدينة المتعاطف مع ساعات النهار الأولى، وفرقة ضحكات زبائن المقهى. لقد كبر جيل من الأدباء الشباب في دمشق وهم يشاهدون الصورة نفسها تتكرر يوماً حتى غداً أحمد صافي النجفي أحد معالم تلك النامية من المدينة. وغامر الكثيرون منهم باقتحام خلوة الشاعر مع نفسه، فوجدوه شاباً بذوقه وفكره، وطريقاً ساخراً يلهب بأبيات متناثرة هنا وهناك تظهر الزيف والنفاق والتعقيد التي أصبحت ظواهر تطبع الحياة الحديثة.

يا ذرة لبناء الكون ناسفة

هل تستطيعين نسف الحرص والطمع

فك الكهارب من دنياك محكمة

اخف من فك ما في النفس من جشع

يا ذرة العقل في دنيا الورى انفجري

وحطبي عالم الإوهام والبعد

ترجمة نيتز جبرالد الى الانجليزية .

وبعد اكثر من عشر سنوات غادر النجفي بلاد
الفرس الى العراق فالشام ، وقضى بقية حياته في
ربوعها ، منتقلا بين سورية ولبنان ، ولم يعد الى
العراق الا قبل وفاته بعام واحد ، وان كان قد عاد اليها
ضريرا ، لا يعرفها ولا تعرفه ، بيد انه قد عيش في
احسانه ، وسيسيش في فكرها لزمن طويل ..

يا عودة للدار ما اقتسامها

اسمع بغداد ولا اراها

اما عودته الى بغداد ، فقد كانت نتيجة مأساة
ختمت حياة هذا الشاعر الذي ما اراد في يوم من الايام
ان يكون شاعرا . بل بدا حياته في النضال السياسي
غير ان الظروف وضعت في تيار قاهر جبار ، فخذمت
تلك الظروف الشعر العربي الحديث خدمة جليلة ..

لعمن الله علة تركتني

رغم انني اعيش عيشة شاعر

استقر النجفي في السنوات الاخيرة في بيروت ،
وكان يكتب كثيرا وينشر قليلا ، وقبل عودته الى بغداد من
أحد مستشفيات بيروت قال ان بحوزته خمسة دواوين
مخطوطة لم تنشر ، وقد اودعها لدى السفارة العراقية .
وقد روى الشاعر كيف اصيب في الاحداث الاخيرة في
لبنان . وهي الإصابة التي ادت الى فقد بصره ، ومن
ثم لم يبرأ منها ..

✽ « في إحدى المرات ، طالبت الاشتباكات ، واستمرت
ليل نهار وانا سجين منزلي . بل سجين ارض المنزل
انتقل فيه كالسجين ولا اجزؤ على الوقوف . ومضت
ثلاثة ايام .. اربعة . خمسة ، نغد الخبز من عندي .
كان لدي بعض الجبن والمعلبات ، فغلبت بها حتى نغد
كل شيء . وفي اليوم انسابع خرجت اطلبس فرنا او
دكانا اشتري منه خبزا .. ولم اكد اخطو بضع خطوات
على الرصيف حتى اصابني رصاص القنص ، فستطعت
على الارض والدماء تنزف مني .. الشارع خال تماما ..
ثم نجاة سمعت صوت سيارة الاسعاف تزحف من بعيد .
ولاول مرة استبشرت خيرا ببوق سيارة الاسعاف ، لكن
علبت في ما بعد ان السيارة كانت تمر مصادفة ،
فلجوني مسجى على الرصيف ونقلوني الى
المستشفى » .

✽ وبعد ما جفف فيه بهنديل ورق في يده اكل حديثه
قائلا : « هل تعلم بهذا كنت افكر وانا مسجى على
الرصيف انظر الموت او الفرج ؟ كنت افكر بالدواوين
المخطوطة التي تركتها داخل المنزل ، واخشى عليها من
ان تضع او تحرق بفعل قذيفة حارقة او صاروخ مدمر
.. لذلك ، كان اول شيء فعلته بعد ان صحت من
العناية الجراحية ان كتبت للمسؤولين في المستشفى هنا

ان يطلبوا السفارة العراقية ، لم يكن يسمح لي
بالكلام ، فكتبت ما اريد على ورقة ، لتحصل السفارة
بوساطتها الخاصة على اوراق المخطوطة الموجودة في
المنزل .. وهكذا كان ، فالدواوين اشعرية الخمسة
المخطوطة الان لدى السفارة العراقية في بيروت . لقد
ارتحت كثيرا بعد ان اتقوا ابائتي الخمسة » .

كان احمد الصافي النجفي في معظم سني حياته
منعزلا عن العالم ، يتعامل معه في مدى الحدود التي لا
يستطيع ان يتحرر منها . وفي غير ذلك ، فقد كان يعيش
وحيدا ، في عالم من الروحية المغمرة نسج خيوطها
حول نفسه وتوقع داخلها . وقد كان غاندي واحدا من
رجال مثل العالم ، وقد عبر عن تعلقه بذلك القائد
الاسيوي باكثر من مناسبة واكثر من مجال .. ومع انه
من الصعب ان ننلس وجه الشبه بين احد من رجالات
الفكر او الادب العربي المحدثين وبين غاندي ، فقد دعا
بعض النقاد احمد انصافي النجفي بغاندي العرب .. وان
كانت هذه التسمية في كل الاحوال تعكس احدى صور
مبالغات كتابنا ، فيها ايضا دلالة على نمطية الحياة
التي عاشها الشاعر .

الا ان النجفي كشاعر ، ادركته روح الشعر بعد
ان عجز عن اداء دور سياسي . كان في شعره صورة
اخرى من صور الفنانين والمفكرين العرب الذين امسوا
بالاحباط نتيجة لاستحالة التزاوج بين القيم المتأسلة في
نفوسهم واخلاصاتهم وافكارهم ، وبين الواقع العربي
الذي يردى على نحو لا يحكمه المنطق غالبا ، ولا تصدق
فيه الحدود الدنيا لنواميس التطور الاجتماعي . ومن
هذا الاحباط نستطيع ان نفهم سر الوحدة التي تتوقع
داخلها هذا الشاعر الذي اتخذ في لحظة حاسمة قرار
القطيعة النهائية بينه وبين المجتمع والسياسة ، والعمل
ايضا . ومرة اخرى ، قدمت هذه القطيعة خدمة كبرى
للشعر العربي — او لعلها فعلت ذلك — وطرق
النجفي جميع فنون الشعر المعروفة ، بل ان ابتكر
اغراضا لم تكن مطروقة لدى الشراء العرب الذين
سبقوه . ومن هنا يمكن القول انه سبق فرسان الشعر
الحديث النشأة نسبيا ..

بشعري قد حننت مستقبل الشعر

يصد هجوم المعابئين مدى الدهر

جمعت به من كل فن واية

واطلقته حرا ، لذى الادب الحر

اطوف به الاماق من كل عالم

من الكون ، والنفس الفسحة والفكر

فمن يطلب افقا ، يجدني اكتشفته

واركزت فيه سابقا ، راية التصر

أتيت بعصر الزيف ، اكشف ستره

وابحو بنور الحق ما ساد من مكر
وربما يكون ذلك دليلا على ان النجفي لم يترك
مجالا من مجالات الشعر الا طرقتها ، وهو ما يفسر
قول بدر شاكر السياب عنه « انه عبقرية فذة متعددة
الجوانب ، لم تترك بعدا الا ارتحلت اليه ، ولم تترك
جانبا الا طرقته » .

وفي نهاية هذا البحث ، ربما يكون من المفيد ان
تقدم بعض المقطوعات من شعر النجفي ، التي لم يسبق
نشرها .. وكان قد اودعها عند احد اصدقائه في
بيروت ..

المطالعة الصحيحة

اردت مطالعة في الكتاب

فابصرت وجهك فوق السطور
فابعدت عني كتابي ، لكي
اطالع وجهك وسط الضمير
على نور وجهك اصبحت اتلو
واطفات في غرفتي كل نور
وهيئات ابصر بالعين ما
اراه بعين الفؤاد البصير

عودة الحبيب

عظمت على معنك الكتيب
وعدت اليه من بعد الغيب
وكنت تطوف تبحث عن حب
سواي ، لحسنك الفذ المعجب
ورحت اطوف بين الفيد ياسا
اطالع كل وجه ، كالفريب
عساي اري بديلك ، في حبيبا
يكون لدا هجر كالتبيب

فكاد العمر يفنى في طواف

وكاد القلب يفنى ، بالهيب
فعدت وقد وهت عينا بحشا
وملت أرجلي قطع الدروب
افكر ، هل لشمسي من طلوع ؟
طلوع الشمس من بعد الفروب
اذا بالنور يشرق في ظلامي
وتبسم روضتي للعندليب
واذ بالالف يخنو بانعطاف
علي ، كمطفة الفصن الرطيب
فقلت له اضعنا الوقت سعي
وبحشا في البعيد ، وفي القريب
فما ابصرت مثلي ، من محب
ولا ابصرت مثلك من حبيب

الصلح

لقد سابت يا الشفي رقيبا
وقد امعنت في البعد المريب
وقد طال السدود علي حتى
يكاد يرق لي قلب الرقيب
واقسى من رقيبك صرت نحوي
لترضى ، ذا كثير يا حبيبي !
لهذا الحد لم يامر بهجري
فنعرض من بعيد او قريب
انحرمني ولو من لخط طرف
ولم تك ان اسلم ، بالمجيب
فديتك ، دع معاملي كصعب
وعاملي معاملة الفريب !
واخلطني بجمع حين تلقي
سلامك ، كي انال به نصيبي
وسلم مع رقيبك ان يسلم
علي ، ولو بوجه ذي قطوب
والا زر رقيبك واستشره
لهذا الحد يامر بالمغيب
وسله ، اما لهذي الحرب حد
فنهيهها بصلح كالحروب
سارضي بالشروط كما تراها
مؤيدة بتوقيع الرقيب

ونتهي الحرب في قبلات صلح

يفوز بها محب من حبيب

الذكريات

متى ما تعد لي ذكريات بلدة

تعد حولها من ذكرياتي اكدار

وما ذكرياتي غير ورد وشوكة

وتكثر اشواك ، وتنسدر ازهار

وكم رمت قلع الشوك منها فلم اطلق

فتجرح لي كف ويجرح تفكار

ويبقى على وردي من الشوك بوخره

وتبقى على كفي من الجرح اثار



شرقية

من ايام جدتي

يوسف
رحال

الحب يا « بنتي » حكايته
كحكاية النعجات والذئب
تصدقين حديث جاهلة
باتت تعاني عقدة الذنب
أقدارها امست معطلة
الا من اللعنات والنسب
ما طاف غريد بابكتها
الا شكاً من بحة الجذب



فضذي الهوى هني تعلمه
قلبي عن الازهار والعشب
وعن البلايل في تبئلهما
عند القدير تهم بالشرب
وعن الموجبات التي رقصت
فوق الرملة رقصة اللوب



تخار من اكلام جدتها
وتظل ظمأ العين والقلب
ام ترتوي وتعذب في نهم
من نبع حب سلسل عذب
لو كنت جدتها لقات لها
حبي وذوقي لذة الحب

شرقية الاهواء والقلب
عن حبها المكنون لا تنبي
وقبصها وجنون ناهدها
إلفان ما كفا عن اللعب
متجاوران وكان بينهما
كأواصر الجيران من قرب
شفقان تضطربان من سغب
ام تخلقا من معدن صلب



ان قلت يا مبيودتي هلمت
وغدت تقول كفرت بالرب
واذا حلفت بحبها وجهت
فكن اصيب بهالاع الرعب
ويدي اذا حايت بخاصرة
سحبت ولاقت ذلة السحب
او طفت في ماهي غداثرها
لم السق الا وخزة الاوب
او صغت من شعري قلاندها
لم اخل من لوم ومن عتب



قالت لها بالامس جدتها
وحديثها كراوية الكتب

جيرار دي نيرفال

نموذج
للصورة
القصصية
الرومانتيكية

عند

دراسته وتقديم : احمد درويش

ARCHIVE

الحرية والفكر ، كانت مدام دي ستايل قد كتبت كتابها
الرائد « من ألمانيا » سنة ١٨١٠ ، وكان نابليون قد
صادر الكتاب حين صدوره ، فاعطى له ذلك فرسا
مضاعفة للآثار حين عاد للظهور مرة أخرى سنة ١٨١٢
وكان ذلك الكتاب قد قدم للادباء الفرنسيين صورة عن
المناخ الفكري الألماني ، زادتهم شوقا الى معرفة الكثير
عنه ، وجاء نيرفال في فترة مبكرة من عمره ، في سن
العشرين ، ليقدم ترجمة شديدة الجودة لعمل جوته
الشهيرة « فاوست » ، وأصبحت هذه الترجمة واحدة
من ادق ثلاث تراجم قدمت للادب الفرنسي في النصف
الاول من القرن التاسع عشر مع ترجمة « الجنسة
الضائعة » لشارتوبريان ، « واشعار الان بو » لبودليز ،
وكان جوته مؤلف « فاوست » يلذ له ان يعيد قراءة
ترجمة نيرفال له ، ويقول اني احس فيها بمذاق
جديد (١) .

استمر اسهام نيرفال في الحياة الادبية الفرنسية
بعد ذلك متصلا ، واسمه لامعا ، في مجالات عديدة ،
وكانت ظاهرة تعدد اوجه الانتاج الادبي لدى الادباء
الرومانتيكيين واضحة ، فالجمع بين كتابة المسرحية ،
والرواية ، والشعر ، والمقال ، قاسم مشترك بين
فكتور هيجو ، والفريد دي موسيه ، والفريد دي فيني ،

جيرار دي نيرفال ، واحد من كبار رواد الحركة
الرومانتيكية في فرنسا خاصة ، وفي الفكر الأوروبي عابرة ،
وهو كذلك احد كبار عشاق « الشرق » ، والرحلة
اليه ، والكتابة عنه ، في القرن التاسع عشر .

ولد في فرنسا في سنة ١٨٠٨ ، من أسرة نصف
برجوازية ، وكان والده ضابطا في البحرية الفرنسية ،
وفي فترة مبكرة من طفولته فقد أمه التي كانت تمثل
نموذجاً اسطوريا في مخيلته الصغيرة ، واصطدم
بصرامة الاب الضابط وقسوته ، ومنذ البدء مثل هذا
الاب له نموذج الغموض ان لم يكن العداوة ، وكان
هذا الاختلال في توازن المحيط الاسري ، ذا اثر كبير على
تكوين نيرفال ونفسيته ، وهو تأثير مشابه لذلك الذي
احاط بمعاصره وصديقه فيما بعد ، الشاعر شارل
بودليز (١٨٢١ - ١٨٦٧) حيث مات الجانب الحاني
في أسرة بودليز وهو الاب في سن مبكرة وحل محله زوج
الام الضابط ايضا ، والذي مثل بصرامته لدى بودليز
نموذج العداوة والغموض كذلك .

وكان نيرفال قد تأثر منذ صغره بالثقافة الألمانية
والادب الألماني ، في مرحلة كان يعد فيها هذا الفكر
لفرنسا في مرحلة ما بعد الثورة ، بمثابة الاشعاع الفكري
الامثل الذي تنهف له كل النفوس الطامى الى مزيد من

وجيرار دي نرفال ، وغيرهم من رواد الانجاء ، وكان اسهام نيرفال في البدء الى جانب الترجمة ، بالشمس ، يقدم انتاجه حيناً ، ونهاج مختارة من الادب الفرنسي القديم ، او الالمانى المعاصر له حيناً آخر ، قدم مخترعات — لرونسار — وبيلي — ورنيه — وجوته — وشيلر — وغيرهم .

ثم قدم بعد ذلك مجموعة من المسرحيات ، اخفق بعضها عند عرضه على مسرح الاوديون ونجح البعض الآخر وقدمها بعد ذلك جميعا للقاريء تحت عنوان : « يد المجد » ، ثم ساهم بعد ذلك في تأسيس مجلة تحت عنوان « عالم المسرح » .

كان اسهام نيرفال في الادب الروائي ، احسد مظاهر الرومانتيكيين ، في الميل الشديد الى ذلك الجنس الادبي الوليد ، وبلى الاسهام في خلقه وانضاجه ، فتعاظم اهمية الرواية كجنس ادبي بالقياس الى الاجناس الاخرى ذات العرافة التقليدية ، كالادب المسرحي .. راجع الى القرن التاسع عشر ، ولا شك ان جزءا من ذلك ، يعود الى التطور الحضاري ذاته ، وتكاثر عدد الكتاب ، ونمو طبقات جديدة من القراء ، لم تكن معدودة بين قراء العصور الوسطى ، ولكن جزءا هاما من اكتساب الرواية لتلك الاهمية ، يعود الى الرومانتيكية ، ذلك ان الرومانتيكية كما يقول فان نيجم ، « في اتخاذها من الفرد ، ومن الحالات التي تعرض لشخصية ، موضوعا للادب ، مكنت من خلق الرواية الذاتية ، وهي في تجديدها مذاق الحقيقة ، ولدت الرواية الواقعية ، وفي بحثها عن المذاق المحلي التاريخي ، الذي لم يكن الا وجهها خاصا من اوجه تدفق الحقيقة ، طورت وشكلت الرواية التاريخية ، ثم كان تصويرها في النهاية للعلاقة بين الشاعر والحياة ، قد برز في اروع صورته في الرواية العاطفية ، كما ان مذاقها « للحركة » الذي كان رد فعل « للبرود » الكلاسيكي ، قد جسد رواية المغامرات ، كتمثيل للرواية التاريخية (٢) .

وكان احد اوجه المعطاء الادبي ، الذي قدمه نيرفال ، من خلال تجاربه ، ادب الرحلات . فقد رحل نيرفال كثيرا الى المانيا واطاليا وهولندا ، وجزر البحر الابيض ، ثم بلاد الشرق على نحو خاص ، وكانت رحلته الى الشرق ، قد سبقها ذلك الحلم الجميل ، الذي كان يعيش فيه ، وبشاركه في ذلك كثير من الرومانتيكيين ، يتخيلون فيه « الشرق » جنة بعيدة يهفون اليها بعيدا عن تعقد الحضارة الأوروبية ، وقسوة بسلاد السويات الملبدة بالغيوم ، وكان شمار الرومانتيكيين في الحلم بالشرق ، تلك العبارة التي اطلقها الفريد دي موسيه : « انما الرومانتيكية الحق ، هي بئر في ظلال نخلة » اما نيرفال فكان قد قرا كثيرا في شبابه عن ديانات

الشرق ، وولع بكل مظاهره ، كان يعجب كثيرا بجمال الخط العربي ، ويحاول ان يقلده دون ان يفهمه ، ومن ثم قرر ان يتعلم العربية ، وقال : « لقد كنت اتعلم في وقت واحد : العربية والفارسية ، والاطالية واليونانية » وكان يحلم كثيرا بمصر على نحو خاص ، وقد زاد من شوقه اليها رحلة صديقه ماريلا الى مصر وعودته ليحدثه كثيرا عنها ، وليظهره على رسم تخطيطي صنعته ماريلا لمصر ، ويقول نيرفال : « لقد كنت احلم كثيرا بالقاهرة القديمة .. قاهرتي .. لقد رايتها كثيرا جدا في رؤاي ، وحلمت انني اتمت بها لا ادرى في اي زمن ، ربما تحت حكم السلطان بيبرس او الخليفة الحاكم (٣) . ومن ثم كانت رحلة ١٨٤٣ الى الشرق فزار مالطة ، ثم اقام عدة اشهر في كل من القاهرة وببروت والقسنطينية . وكتب مذكراته عن تلك الرحلة ، في كتابه : « رحلة الى الشرق » وهو يصور من خلال تلك المذكرات دقائق الحياة الفكرية والاجتماعية في الشرق في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر .

نود ان نقرأ لنيرفال معا ، واحدة من تلك الصور القصصية ، التي كان يصل فيها التكثيف الشعوري الى درجة عالية وتضج فيها الوسائل الرومانسية في التعبير ، ولعل ابرز ما سنلتقي به في تلك الصورة ، هو اتخاذ « الحلم » كاملا قصصيا ، واللجوء الى عالم الحلم ، او احدا من الوسائل الرومانتيكية للهرب من صرامة عالم الواقع وضيقة ، كان هناك اللجوء الى عالم الطفولة ، او الى عالم الجن ، او الى عالم الحلم الليلي او حلم اليقظة ، وكلها طرق تؤدي الى البحث عن عالم جديد ، وكان الحلم لديهم على نحو خاص كما يقول الفريد بيدرمون ، هو « الطريق الضائع ، الذي يتصل الانسان من خلاله بالعالم الالهي ، عندما يحل النوم ، الجبال التي تربط سفائنا بعالم الحقيقة » (٤) . ولسوف يحاول نيرفال ، ان يوهنا ، من خلال مزج الحقيقة بالحلم ، ومن خلال اللجوء الى مشاهد واقعية كالبعيد الزمني ، لكن الاطار الخارجي لنصوره هذا سوف يظل كلاسيكيا ، تفوح منه رائحة الشوق الى البرجوازية العتيقة .. فلنقرأ معا هذه الصورة القصصية ،

أريان : الزاهية الحسنة

... كتبت قد استلقت على سرير ، ولم ازل بعد متعبا ، وقد انغمست في نصف اغفاءة ، اخذت معها مرحلة شبابه كلها ، تتلعب في شريط من الذكريات . وفي تلك الحالة التي ما تزال تدافع فيها الروح غلبة هيمنة عالم النوم الغريب ، يمكن ان نرى لوحات تهر ، للاحداث البارزة في حياتنا ، طيلة زمن ممتد ، في لحظات معدودة .

ومع انسياب غنائها ، كان الليل يمتد فوق الاشجار الكبيرة ، وضوء القمر الوليد يسقط فوقها وحدها ، متفردة وسط حلقتنا المرحلة الاسماع .

ولقد صمتت ، ولم يجرؤ احد ان يقطع الصمت ، .. كانت الحشائش الخضراء مغطاة بالابخرة العشرية المتكاثرة ، التي تلف قواربها البيضاء على تنوء الاشجار ، حتى كنا نحسب اننا في الجنة .

واخيرا .. نهضت انا ، وانطلقت الى حديقة القصر ، حيث توجد اكاليل مزروعة ، في اصص كبيرة — الخزف ذي اللون المتوج ، وحملت غصنين من الورد ، ضفرت منهما اكليلًا ، ووضعته على رأس «ادريان» ، حيث اختلطت الاوراق الالامعة ، بصفاتها الشقراء ، تحت هالة القمر الشاحبة . ونهضت «ادريان» ، وامتد قوامها الفارع ، وحينما في رشاقة ، ثم راحت تعود راجعة الى القصر .

★ ★ ★

قيل لنا ان هذه الفتاة ، سليلة عاتلة من اصهار ملوك فرنسا القديمة ، ودماء الفالواز تجري في عروقتها ، وقد سبحوها لها في يوم العيد ان تشاركنا مرحضا ، ولن يكون ممكنا ان نراها بعد اليوم ، فانها يسترحل من الغد الى الدبر الذي كانت تعيش فيه . ؟

★ ★ ★

عندما كنت عاتدا مع «سيلفي» في الطريق ، لمحت انها تبكي ، وكان الناج الذي قدمته يداي للبلغية الحسناء هو سبب دموعها ، وعرضت عليها ان اعود فاقطف لها نارجا مثله ، ولكنها قالت : انها لن تأخذ مني شيئا مطلقا ، وانها لا تستحق شيئا لدى . وحاولت ان ادافع عن نفسي دون جدوى .. وطوال الطريق الذي كنت اصحبها فيه الى بيت ابويها ، لم تنطق سيلفي كلمة واحدة .

ظلت صورة «ادريان» لدى ، حية نابضة ، رمزا غامضا للجدد والجمال ، تطف عني او تقاسمني ، ساعات الدروس الشاقة . وفي اجازة العام التالي ، علمت ان هذه الحسناء قد وهبا اهلها .. للرهبنة .

احمد درويش — باريس

تمثل لي قصر من طراز عصر هنري الرابع ، باسطحه المثلة المغطاة بالارذواز ، وواجهته المحرقة ذات الزوايا المذبية من الاحجار الصفراء ، والمبدان الفسح الاخضر ، المحوط بشجر الدرار ، وبانزيفون الذي تداعب اوراته الشمس الغاربة بانتمتها المحترقة .. كان هناك فتيات برقصن ، وهن يصنعن دائرة فوق الحشائش الخضراء ، ويتغنين بالحن قديمة توارثتها عبر امانتهن ، وبفرنسية طبيعية شديدة النقاء يحس المرء ببقائها في هذه البلاد القديمة ، بلاد الفالواز ، حيث دق قلب فرنسا ، عبر اكثر من الف عام .

★★★

كنت الفتى الوحيد ، في هذه الحلقة ، وكنت قد اصطحبت معي ، صديقتي التي ما تزال في اوائل الشباب «سيلفي» ، فناء من الضيعة المجاورة ، شديدة الحيوية والنشوة ، بعينها السوداءين ، وصفحة خدها المنسقة ، وخفتها السراة الحلوة .. لم اكن احب سواها ، ولم اكن ارى غيرها حتى هذه اللحظة .

ولم تمض برهة ، حتى لمحت داخل حلقة رقصنا ، شقراء طويلة وجبيلة ، كانت تسمى «ادريان» .. وفجأة ، وخطانا تتابع قواعد الرقص ، وجدت اديان يفردها معي ، في وسط الدائرة .. كان طولها متساويين ، وقيل لنا : فلتخاصرا ، وادار الرقص والغناء الجماعي ، اكثر حيوية من اي لحظة مضت ، وعنديا كنت امنحها قبلة نهاية الرقصة ، لم استطع ان امنع نفسي من ان اضغط على يدها .. ولقد مست الصفاتر المجذولة في شعرها الذهبي وجنتي ، ومنذ هذه اللحظة اجتاحني اضطراب مجهول .

★ ★ ★

كان على الشقراء ، ان تغني ، قيل ان تعود من جديد الى حلقة الرقص . وتلف جالسين حولها ، وبعد برهة .. ينبعث صوت ، يخرق الاعماق ، طازج ابع ، كاصوات فتيات البلاد الضبابية .

غنت واحدة من هذه الحكايا العاطفية القديمة ، المليئة بالخوف المزوج بالحنين والحب ، والتي تحكي دالها عن تعاسة اميرة محبوسة داخل حصنها ، امتثالا لارادة اب يعاقبها ، على ان فارسا وقع اسير هواها . وكان النغم ينتهي في كل مقطع شعري ، بتريديد مرتعش من الجوقة ، يبرز عبره جمال الاصوات الشبابة ، عندما تتلد ، من خلال تعديل نبرتها ، اصوات الجدات المرحشة .

1- S. JEUNE. Litté. generale. P.45

2- VAN TIEGHEM. Le Romantisme Français. P. 75

3- JEAN-MARIE CARRE: Voyageurs et écrivains Français en Égypt. Vo.I.P.3

4- Le romantisme européen. Tom 2.P. 56



بقلم : بيوتركيه
ترجمة : لطيف م. دمياطي

القسم الثاني

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الشيخ الطيب ومهرها

واستقبلني الشيخ بابتسامة ، ثم انصت وانصت ،
غير انني لم استطع ان انطق من فرط الخوف . ولاحظ
ذلك ، فنهض من مكانه معتذرا عن نغيبه لحظات .
وهنا غيمت قيمة الثقافة القديمة الاصيله ، فقد ادرك
الرجل الطيب القلب انني مضعف الحواس بسبب
المفاجأة فأراد ان يمنحني فرصة لاستعيد رباطة جاشي .
وعاد بعد برهة ، فبدأت معه ، وحاولت جهدي ان
ارتب النقاط التاريخية في تسلسل دقيق وان اصوغها
في لغة روسية سليمة . وسره ذلك غفقت بسرعة الى
السؤال الثاني ، وكان يتعلق بأعمال لينين . ومن حسن
حظي انني كنت قد حفظت شيئا من ذلك ، فما ان
شرعت في التهييد حتى اكتفى بما قلت ولم يتركني اكمل
الجواب !

ثم سألني في اهتمام ما اذا كنت من « ناناي » ، فلما
اجبته مؤكدا ذلك تنهد في ارتياح ثم هز رأسه كما
لو كان في حلم وقال انه كان في بلادنا حينما كان شابا ،
ولذلك مان ذكرياته عن الشرق الاقصى تعود به الى
ايام الشباب والحب والحياة البسيطة الهادئة . وكانت

اسعدني اللحظة الامتحان غنمت مبكرا وصحوت
في حالة حسنة . وحينما خرجت كان الوقت لا يزال
متسعا . واتجهت الى الجامعة ، وهناك علمت
ان الامتحانات ستؤدى بكلية التاريخ .
دخلت الى المكان في هدوء ، وحينما القيت نظرة
على الاسئلة خيل الى انها في منتهى السهولة ، ولكنني
لم اذكر شيئا لاجيب عنها ! ومرت فترة حسبتها دهرا
قبل ان استجمع شتات تفكري وانذكر شيئا من
معلوماتي الدراسية . وقد حاولت ان اربط النقاط
بقدر ما اعانت الذاكرة . واخيرا لم يبق الا ان اختار
المبحث .

كانوا ثلاثة : رجلا مسنا عرف بتحذلقه الشديد ،
وشابا بدا عليه الضيق ، ربما من غباوة الطلبة ، وامرأة
مبتسمة كأنها ارادت ان تطامن بانها لن تقصر او تتغفل .
وكان السواب ان يقع اختياره عليها ، او على الشاب
على الاقل ، لكي انجو من الحذقة وما فيها من ضغط
وعصر ، ولكن المفاد ركب راسي فرايت ان اسلم نفسي
لصاحبها مهما كانت النتائج .

نتيجة انبعاث ذكرى تلك الاوقات السعيدة ان منحني درجة « ممتاز » !

شكرته في تيمنة ثم جريت الى الخارج وانا لا ادري ما اذا كنت اسير على قدمي ام على راسي ! ترى ماذا كان يحدث لو كنت وقعت تحت رحمة تلك الشاببة او ذاك الشاب ؟ لا شك في ان اي منهما لم يكن يعاملني بهن هذه الطيبة التي مبعثها بعد النظر . وهكذا تبقى العلاقة بين الاستاذ وتلميذه في ذهني متضمنة هذا المعنى الانساني النبيل بفضل حفاضة ذلك الشيخ وحسن تصرفه .

والواقع انني لا ادري متى وكيف جاءتني فكرة « الحياة العظيمة » التي اصبحت هدفي دائما . لقد بت احلم بها دائما . وكنت اخذنا ارى واحدا من زملائي يترك المدرسة قبل ان يكمل منهجه اعود فأسأل نفسي متعجبا . كيف لا يستطيع هذا ان يحلم بحياة عظيمة ؟ بل كيف يرضى بأن يولد غير معروف ، ويعيش غير معروف ، ثم يموت غير معروف ؟!

وكنت كلما عدت الى القرية استيقظ غالبا في الفجر واذهب الى الحقل لأمزق الارض واستخرج ثمرات البطاطا ، ثم اعود قبل ان تشرق الشمس . وكان هذا يسر جدتي بالطمع . ماذا استرحت قلبلا ذهبت الى النهر لاسبح ثم عدت لفناول الطعام . ولم يكن في ذلك شيء من العمل العظيم الذي اتطلع اليه . والسبب واضح ، فالواقع انه لم يكن في قريتنا ما يصح ان يعتبر عملا عظيما . ان يوم صيف في قريتنا لم يكن اكثر من يوم نوم . فالصبايون ينامون ، لانهم يسهرون طول الليل ، وعجائز النساء ينامن ، والاطفال ينامون ايضا بل حتى الكلاب تحفر اخاديد في الارض ثم تنقب فيها فلا يبدو منها غير السنن الحراء المتدلية . ماذا نظرت السى الطرقات رايتها فقرأ ليس فيها مخلوق .

فاذا اقترب المساء اخذنا الحرارة تهبط ويدات الحياة تعود الى القرية . وحينئذ نخرج للسباحة او للعب الكرة الطائرة . واذا كنت انني حينها كنت اجري كنت اشعر بأن هناك شيئا عجيبا سيحدث .

●●●

مرة اخرى في ليننجراد . ولن افيض في ذكرى التفاصيل ، بل اكتفي بأن اتول انني اكملت دراستي الجامعية ثم اسرعت لوضع خطة المستقبل . فماذا يجب ان اكون : معلما او كاتباً ؟ ربما كان الانسب ان اكون كاتباً . ولكن هبني كتبت قصة وانا لا ازال في الحادية والعشرين . مستقبل بالاستخفاف ، طبعاً ! ولكنني لن اياس بل سأواصل الكتابة نهائراً وليلاً ، حتى اتمكن من اخراج قصة اخرى . غير ان سوء الحظ

يلازميني ، فما ان تظهر قصتي حتى اصاب بالمرض من جراء التعب الذي ذهني ، ثم ارقد في احدى المصحات لاثني اصبحت بالسل . ولليرة الاولى اشعر باليأس وافتقد الامل . ومع ذلك تبزغ في عقلي فكرة قصة ثالثة ، ويكون الموضوع هذه المرة رافعا مثيراً . ولكنه باتني متأثراً ، فانا الان احتضر !

ان الحياة سعادة ، والانسان يريد ان يتذوق دائما هذه السعادة . ولكنه يحرم منها ، فيكون في وضع المرأة التي يهجرها حبيبها بعد ان تبذل له كل شيء . فلماذا يجب عليه ان يعاني من الالهانة ؟

ان الموت اهانة . ولكن بما انني بدأت اصيب شهرة فان خير موتي يكون له صدى كبير . واقرأ في الصحف ... لقد مات بعد ان قاسى طويلا من مرض عسير . فماذا يقصدون من وراء ذلك ؟ وما هي جدوى مثل هذا القول حتى لو كان الامر صحيحاً ؟ فانا ما عدت الى موضع جثتي سمعت صحبات الاعجاب تتراعى في ثائر شديد من حول سريري . ولم اكن قد شعرت قط في حياتي بشيء في كل هذه العظيمة التي تجلت الان بعد موتي ! فكل ما في من نقائص وعيوب : مزاجي المضطرب وخلقى القبيح وخشونتي وانانيتي واستعلائي ... كل ذلك قد تلاشى في لمح البصر واسدل عليه ستار محكم ، لتبقى فقط الخطوط الجميلة التي رسمتها في قصصي ! بلى ، فقد بقيت فقط الضوء النقي من الحياة وذهبت الحياة كلها . ولكن لم لا تدعى الحقيقة جميلة في هذا النقاء الوضاء ؟

بعد ان عانيت سكرات الموت وورى جسدي في التراب قامت في راسي فكرة طائشة . قلت تبهل قليلاً ... الذكاء نلت حظك منه ، والعبقرية تفوقت لذتها كذلك ، واجبالا فقد عرفت شيئاً عن الحياة العظيمة . ولكن ماذا تقوّن عن الحب ؟ فهل تموت قبل ان تجرب حظك فيه ولو مرة ؟ اتوت قبل ان تحاول توفيق مشاركت مع مشاعر امرأة جميلة ؟ الحق ان هذا امر محزن !

انكأت ليلى على ظهري في رفق بينما كنت منحني على قديهما اثبت فيهما قبضات التزلج . ولم ادر ما اذا كانت انقرة التي امضيتها في ذلك ثواني قصيرة ام سنوات طويلة ، وانها رايت نفسي اخطيها قائلاً :

— هل تشعرين الان بانهما على ما يرام ؟
— لا يمكن ان يكون الامر افضل يا فيليب .

وكأنها ارادت ان تثبت صدق ذلك امام كل الناس ، فاندفعت في دورة سريعة واسعة . والحق انه ليس هناك ما هو امتع من ان يرى المرء نفسه طائراً فسوق اللجج ، لا سيما اذا كان في بدء تكونه ، هشاً صافياً وكان النهر في طور التجدد ، خصوصاً في بدء المساء وقت

ان يتصاعد البخار الأبيض من الماء .

في تلك الساعة تبدو الأشجار شعثا بها غلى فروعها من جليد . وحينئذ تحدث أكثر الأشياء تشويقا بينما تكون الشمس اخذة في الغروب . فاذا ما اشتد الغسق وبرزت النجوم تحول الثلج الى كتل سوداء فلا تبين الخطوط التي تحدثها تباقيب المتزلجين الا على ضوء تحدثه طائرة عابرة وفي هذه الحالة لا يكون هناك من يتعرض للمتزلجين او يوقفهم .

— فليب ، لماذا تقف هكذا بعيدا ؟ قد يظن الناس انني اطاردك !

قالت ليلى ذلك ثم قامت بدورة اخرى فوق الثلج . وكانت بذلك في متناول كل الناس ، فقد كانوا ينادونها ويجرون وراءها ويلبسونها ، بينما كانت تبتعد عني اكثر فأكتر ، ثم تعود فتنقرب مني .
— لنذهب الى المنزل !

نالت ذلك وقد بدا عليها التعب الشديد ، ومع ذلك عند اندفعت كالسهم في دورة اخرى ، وكانت في دورانها تبدو كأنها هي تقرب من قرص الشمس . وكان كل شيء من حولنا يعبر عن ليلة من الشتاء اختلط سوادها بالبياض ! واخيرا عادت لتقف امامي وهي تترنح فوق تبقايبها في حركة راقصة ، ثم اخذت تنفّس في وجهي كأنها هي تبحث عن شيء .
خلعنا تباقيب التزلج ثم عدنا الى المنزل . وكسم كانت رائحة تلك الساعات التي قضيناها على الثلوج ! فلماذا كان يجب ان نتوقف ؟ لان هناك نهاية لكل شيء ؟
ليوم رياضة على الجليد ، وللطفولة ، بل وللحياة نفسها !

ليلى ، فسأوت : وستبوت ليلى كذلك . ولن يبقى لي ولا لها وجود ثانية فوق هذه الارض .

ولكن ما معنى ذلك ؟ أنبوت بينما يعيش الاخرون ؟ ولكن الآخرين سييموتون بدورهم ، بينما يبقى اخرون ، ثم يأتي وقت يموت فيه كل انسان . لماذا ؟ لان الارض ستغيب ، كما ظهرت مرة ، ولكنها ظهرت على كل حال .

كلها فكرت في ليلى كان يصعب على فهم شيء قام في ذهني . فكيف نشأنا هكذا منفصلين ؟ فهل جاءت هذه الفكرة من تصوراتي في الطفولة ، حينما كنت احلم بحياة عظيمة ؟

كان يوما صافيا سكنت فيه الرياح عندما اتجهت مع ليلى الى محطة « ارجا » لصيد سمك سليمان . وكان نهر امور ينساب في لمان بين المروج التي تناثرت فيها اكادس العشب اليابس . وكان المكان لا يبعد كثيرا عن غابة السديان التي بدت سوداء مخيفة وقد تغفلت فيها غور ضيق طويل كنا نعتقد انه موطن حيوان

« الديناصور » .

كنت حينئذ في الخامسة عشر . ومع ان الخوف الذي كنت اشعر به في الطفولة كان قد زالني فقد بدأت أحس ذلك الشعور الغريب الذي كان يثابني في الايام الاولى من طفولتي ، وهو حب كل شيء في الحياة . كان الصيادون ينسابون فوق النهر في زوارق ضخمة تجرها قاطرات . وكنا نراهم نوجا بعد اخر في حركتهم الدائرة كمقارب الساعة . وكان السمك يشق طريقه خارجا من النهر . وفي المساء بدا النهر كما لو كان فاض على ضفتيه واخذ ينالا من شاطئ الى شاطئ . وبين فينة واخرى كانت تظهر اشواء حمره وخضراء ... انها باخرة بيضاء صبغت اشعة الشمس الخاربة تنهادي في بقاء فوق صفحة النهر .

ومشت ليلى ومشتت معها .. مشينا ثم مشينا . وكنا نتمسلي تارة بمنظر الزوارق المحملة بالاسماك واخرى يجمع الاصداف من الرمال . ثم جلسنا في خيمة هناك وتناولنا شينا من الفطير ، وبعدنا عدنا الى التجوال فبعدنا كثيرا عن المقيم .
كان الجو باردا ، يعكس على النفس الحزن ، ولكنه كان محبوبا . فقلت :

« ليلى ، او لا يمكن ان تكون افكارنا مناسبة في الكون ، كما ينساب الضوء الان من النجوم ؟ »
فرغمت رأسي في هدوء واخذت تنظر الى النجوم . وكانت النجوم يالسا في الظهور ، ظهرت في البدء صغيرة باهجة ثم اخذت تتجلى كبيرة ساطعة . وكانت اضواؤها تتراعى في اتجاهات لامتناهية من السماء . فعدت اقول :

« ثم الا يمكن ان يكون هناك كائنات اخرى تعقل وتدرک ، تشعر بافكارنا ورغباتنا ، كما نشعر بالرياح والامطار ؟ »

ومشت ليلى بجانيبي بغير ان تقول شيئا . وكان هذا ختام جولتنا في تلك الليلة ، فرجعنا الى القرية . لم احمل معي سوى قدر قليل من الكافيار الاحمر ، اما ليلى فقد ملأت سلة كبيرة بالسمك وكان على ان اساعدها في حملها . وحال وصولنا ذهب الى المطبخ فأتوت صباح الكيروسين الصغير ثم بدأت تنظف السمكات . وكانت تبدو ماهرة ، غير انني لم استطع ان اتغلب على الفكرة التي تسلطت علي حينئذ ، وهي انها كانت تعيسة الى اقصى حد ، او بعبارة اخرى انني كنت تعيسا الى اقصى حد . وعلى ضوء الصباح البدائي وجدت نفسي اندفع في ابداء ما يتوافق وما يتعارض مع امكانيات قيام نوع من الصداقة او الحب بيننا .
وكانت ليلى تصغي الي في اهتمام . وهي لا تقنا

توجه الي بين هنيئة وأخرى نظرة فاحصة من تحت
أهدابها . أو تمد يدها فترفع خصلة بن الشعر تدلت
فوق جبينها . هذا بينما كانت يدها الأخرى لا تتوقف عن
إدارة السكين في بطن السمكة لإخراج عنقود البيض
من جوفها . غلبت حياته الدقيقة ودية شغافة . وكنت
من قبل قد شعرت بأن القدر قد حكم علينا بأن نكون
فقيرين ، نعيش في كوخ من الطين الاسود ونعاني من
سخط الحياة .
وقالت ليينا :

— فيليب . أو لم تقل أننا صديقان ؟
— بلى . ولكن ربما كنت بذلك قد عنيت الحب !
من المدرسة قادنا الطريق رجوعا الى الغابسة
المظلمة الساكنة . هناك كان وجه انيا يبدو وضيفا في
الصورة الفوتوغرافية التي ارتفعت فوق نصب قبرها .
كانت عينها ثابتتين ، وقد بدا وجهها نحिला باعنا ،
أما فمها فقد انفرجت شفتاه في حلاوة .
وعادت ليينا تقول :

— ما هو ذلك الشيء يا فيليب ؟
في الشتاء كان قبر أمي مغمورا كله بالثلج ، لا
يظهر منه الا النصب تعلوه الصورة ، وقد اظلمت
سقيفة صغيرة .
وللمرة الثالثة عادت ليينا تقول :

— ما هو هذا الشيء ... ابرد هو ؟
في الربيع ، حينما كانت اشجار سوسن الوادي
تنمو حول قبرها لم تكن تقول شيئا ، وكانت هائلة
من الحزن تبدو حول وجهها . أما في الخريف بجوه
الثائر . حيث كانت أوراق شجر الاسفندان الصفراء
تحدث وميضاً مريحا في دورانها حول وجهها ، فقد
كانت تلمي على العالم نظرة رصينة هادئة .
نظرت ليينا الي ، وتابعتها السير . وكانت الأرض
قد تجذبت . وفي اثار الاقدام التي خلفها اولئك الذين
ساروا في اطار الخريف كان الثلج يبدو ناصعا . وكنا
نخطو بوثه فينحطم شظايا صغيرة تحت اقدامنا .
ومالت الشمس الى الغروب ، وبدت الى الغرب سحب
حمرآة وبيضاء كانت تتحرك في جلاء ، بينما كانت نجوم
قليلة قد بدأت تظهر فوق رؤوسنا ...
وقالت ليينا أخيرا :

— انك اول حب لي يا فيليب .

علمت انني حصلت على خمس درجات في مادة
تاريخ الاتحاد السوفيتي وقد وقع ذلك علي كالإلهام .
فمضيت اتجول حول المدينة طول اليوم . فإذا ما نال
مني التعب قتلت راجعا الى بيت الطلبة وقد بدا الحزن
يستولي علي . وحالما دخلت الى المكان رايت اوليسج

راقداً فوق فراشه ، وكان حاله ينبيء بأنه غير مسرور .
وقد علمت السبب . فقد حصل على أربع درجات
فقط .

لقد اخترت تلك الشاية ، وكانت يتسم له دائما ،
وقد استعنت اليه واستعنت . فلما سبب في الإجابة
كان لا بد من أن يقع في خطأ . أما أنا فقد كنت لا ازال
أعمل حسابا لمادة أخرى هي كتابة المقال . وحق لي أن
أخوف من ذلك . غانا لم أنس انني في الاختبار النهائي
بالمدرسة لم أحصل فيها على أكثر من ثلاث درجات .
وكان هذا مريعا في نظري . بل وفي نظر الطلبة جميعا .
كيف إذن اعد نفسي للاختبار في مادة صعبة كهذه ؟
الواقع انني لم ادر ماذا أفعل . فلم يسعني الا أن اقيم
على وجهي في شوارع المدينة . ثم ذهبت الى المتزهر
العام . ومنه الى متزهر الشاطيء . وهكذا مضيت اتجه
من مكان الى آخر وأنا لا أحمل في راسي غير صدئ
أغنيات ابججينا بوريسوفنا التي كان يستغني الطرب
أغوتع نغماتها بعضا صغيرة على جذوع الاشجار أو
ما أمر به من حواجز . وكانت هذه « حيلة » اعتمد اليها
دائما للتغلب على النلق واستعادة الهدوء .

عدت متأخرا الى المسكن . والقيت بنفسي على
الفراش استمدادا للنوم . اضطجعت على ظهري ، ثم
استدردت عنى جبني الأيسر ، فسرى في نفسي شعور
بالعافية . فاستدردت ثانية على جبني الأيمن . وكان
هذا إذنايا يائتي على وشك الاستغراق في النوم .
وبذلك كانت ايضا من حيلي في ترويض الحياة !
ولكن لا ، لم يكن في استطاعتي أن أنام ! كانت
عيناي مفتوحتين في الظلام . وكنت ارى نفسي كما
لو كنت قد صعدت الى مكان اعلى !

لماذا لم يستول على النوم في الحال . كما تعودت ؟
ولماذا لم استطع تناول عشايتي ؟ ثم كيف استطاعت ليينا
أن تتكلم الروسية احسن مني ؟ حاولت أن اتكلم
الروسية ، وأخذت استجمع الكلمات في العنتة . كانت
هناك كلمات كثيرة ، غير انني لم استطع النطق بواحدة
منها . كل انسان لديه أخبار أو اسرار أو مشروعات ،
أما أنا فلم يكن لدي شيء بالمرءة !

بدأت أشعر ثانية بالخوف من الظلام ! فمن هو
ذلك الشخص الذي يقف هناك بجوار الموقد ؟ سحبت
البطانية فوق راسي . ولكنني دفعتها ثانية بحركة لا
أرادية . ثم نظرت نحو الشخص الواقف ، فإذا به
أمي نفسها !

كانت تقف بجوار الموقد ، كما لو كانت تختبئ من
بعض الناس . وقد مضت تنتظر الي وهي تعجب إحدى
عينها بيدها . وكانت عيناها الأخرى وتقاطيع وجهها
واقماتها التحيلة وشفتاها ، كل شيء فيها كان يشع

جمالا اشد من ان يحتمله الاحساس البشري !

« احي يودين — امبا ؟ » هكذا همست لنفسي .
وقد جبد دمي في عروقي . اذن لماذا لم امت ؟!

عندما دخلت الى المدرسة في ذلك الصباح الشائتي الذي لا ازال اذكره شعرت كما لو كنت في مكان امين . كان الظلام لا يزال حالكا في الخارج ، وكانت النجوم لا تزال تلمع في السماء ، وكانت النار تتاجج في موقد فحم في الطرقة . وحينما الصقت وجهي بظاهر الموقد اللامع ثم استطعت ان اكتب شعوري بالإنبهاج . فنهفت قائلا : يا الله ، ما اجمل هذا وما اطيب الذوق ؟

كنت في غاية السرور . ففجعتني ! فقد احببت ذلك لانني قلما اكون مسرورا . وحينما اكون مسرورا فأنني اجلس في اي مكان بغير ان التي بالالشيء . ثم استرسل في الغناء . وحينما اغني فان فوضى المشاعر الفجة وخرافات الادراك البدائي تتحول من خلاي الى شعور انساني مؤثر ، فهي تتحول الى حزن عميق .

هذا جوهرى ، في نظري . فانا اغني حينما اشعر بسرور رايد . واغني ايضا حينما اشعر بضيق شديد . وكنت اغني قبل ان اعرف معاني الكلمات في الاغنيات الروسية . وكان جدي حينما يسمعي اغني يقول احيانا : ان صوتك جميل هذا الصباح . اما جدتي فكانت تقول : لا تغن وانك تاكل ، فهذا يجلب الحظ السيئ ! فكنت أصمت ، غير ان الاغنية كانت تستمر في عقلي . وكان يخيل الى انني لا اغني بل استمع فقط . اما المعنى فكان شخصا اخر يأتيني صوته من بعيد ...

من روسيا ، حيث الضياء والذوق واوقات الصيف .
فاذا ذهبت الى الفرائض كنت اغني واغني ، واعيد الاغنيات حتى يغلب علي النوم .

فحصت قلبي وملأته ثم جربته ... على ما يرام !

سمعت ازيز الحلاق الكهربائي في بد اوليج ، فقد كان ماضيا في حلاقة ذهنه ، وبعد ان مرغ التي نظرة طويلة على نفسه في المرآة ، ثم ارتدى ملابسسه في عناية .

سمعت واحدا من الطالبين الاوزبكيين يتحسر قائلا :

« يا لسوء الحظ ! لقد نسيت كل شيء فلم اعد اذكر كلمة مما يجب ان اقله ! »

شعرت بالشفقة عليه ، غير انني نزلت الصمت . فالواقع انني لا استنسخ مثل هذا التصنع الذي هو في نظري عبث سخيف . فحتى لو كان المرء حقسا نسي كل شيء فمن الخير له الا يقول ذلك ، ولو ليحفظ

بمكاته .

لم تكن هذه طريقتي . ففي الليلة السابقة جلست افكر في كل شيء ، وارتب ما ساقوله في الصباح . وحينما دخلت الى مكان الامتحان سرني ان ارى الابواب تغلق بيننا وبين العالم الخارجي . ثم وجدت اسئلة غريبة تنفض الى عقلي : ترى من الذي سيسال ، وما هي الاسئلة ؟ ومن الذي سيحصل على نمر كافية للنجاح ، ومن الذي سيرسب ؟ كل هذا مضيت افكر فيه ، كأنها كان الامر كله يعني !

الجو الرهيب ثانيا ! ... والبنات مرة اخرى !
اتهن يبدون متوترات الاعصاب فيزداد سحرهن ، مرتبكات فيفرن العطف . نظرت اليهن في هدوء غابتسمن ، كأنها شعرن بانني اشاركهن في سوء الحظ ! كان عددنا حوالي ثلاثمائة ، وكان علينا ان نختر من موضوعات الامتحان التي كتبت على السبورة . وخطرت ببالي فكرة جاءت تلقائيا . وهي ان اكتب عن الشاعر بوشكين . فكتبت بعض اقتباسات منه . وكان هذا كل ما هو مطلوب .

كنت وانا في الصف السادس قد اكتشفت قصيدة لهذا الشاعر ، او ان ليها بالاحرى كانت هي التي اكتشفتها لي . وربما كانت قد اندثرت مما جاء فيها ، وهي قوله « لقد احببتك ، وربما كنت لا ازال احبك .. » فالتفت بها امامي وهي تقول في صوت حار « اليك يا غريب ! » فتناولت القصيدة واخذت اقول « احبك ، احبك ! » . وحينما انتقلت الى الصف الثامن ذكرت هذا الامر ورايت ان اوضحه فقلت « حسنا ، انني لم اكن بوشكين على كل حال ! » . وكانت هناك هرة مخبئة فوق الموقد فنظرت الى بعينين حادتين !

عكفت على حفظ واحدة من قصائد بوجين اونيجين . وعادت دنى من الحانوت ، وحلبت البقرة ، وطبخت العشاء وانا لا ازال ماضيا في القراءة ، فسألني وهي تقدم لي الطعام ما اذا كان لدي كثير يجب حفظه . فقلت :

— كلا يا دنى ، شكرا . غير انني لا اريد عشاء هذه الليلة .

— كل يا فيليب ... كل ، ولا تترك الطعام على الصفحة . انك مسكين لن تعرف الحظ السعيد .
ووقع على هذا القول كما لو كان قاتونا غير قابل للنقض .

— دنى العزيزة ... حبيبتي في طفولتي ورفقتي في حنفي القاسي ! سافعل كما تودين . ولكن هل انت متأكدة من انني لن اكون يوما من ذوي الحظ السعيد ؟
كنت اتكلم معها بالروسية ففهم ما اقول ، ولكنها كانت تجيب بلغتنا القومية ، فقالت :

أخرى ، ولو كانت في أقصى المدينة ، ولا بأس من الذهاب بواسطة سيارة . فقد كان اهون على نفسي ان تضيق من ان تضيق على الفرصة في مشاهدة فيلم مفيد .

وكلما كنت استمتع بمشاهدة فيلم كنت أشعر بالخوف من ان ينتهي سريعا فاذا ما انتهى قيمت وانا أشعر بالنعاس ، او بالفخر المشوب بالاضطراب لشعوري بالقوة والارادة ، وهو ما يتجارب مع رغبتى في ان اكون عظيما .

أخذت اوراق الورود تساقط على ارض الساحة الواقعة امام كاتدرائية قازان . وكان في استطاعتى ان اسمع غيرهما المتضوع في حرارته الصيفية ، بل وان احس ثساوها حادة قاسية : مرة أخرى سطبت بجانبى صدغى السنة من اللهب وردية عذبة ، وهو ما كان يحدث في طفولتي . وحاولت ان املا بصري منها ، فازداد نوحها وهي ترتفع في موجات وردية ، وما زالت ترتفع حتى غابت في اعماق الكون .

من خلال أضواء الليل في الشارع استطعت ان ارى النجوم الاولى من النجوم ... مجموعات كبيرة تظهر في العمق البعيد ، متوزعة في كل الاتجاهات . يقول العلماء انه لم يكن هناك قبل اثني عشر الف مليون عام سوى « نورتونات » و « لانورتونات » ، كلها في بقعة واحدة ، ولم يكن هناك ارض . ثم يقولون ان النجوم سطر على كلها معا ثانية في بقعة واحدة ، ثم يصبح كل شيء نورتونات ولا نورتونات ، كما كان من قبل ، ولا شيء غير ذلك !

رايت ساحة « نيفسكاى بروسبكت » الكبيرة في ليننجراد بنماها ، ورايت تيارين من الناس ينسابان منها ! ترى الى اين هم ذاهبون جميعا ؟ انهم يتراعون في بزات جميلة وقد غرهم السرور ! اما الارض فانها تدور في هواء ، بينما اخذ المحيط يطغى على شواطئه القنابل تتساقط ، والشبان يرتضون ، والناس يموتون جوعا ، بينما مضى الرؤساء يكذبون !

على طول نهر نيفا كانت المصابيح تضيء في سناء وتعكس أضواءها على الماء . وكان الطرف المدبب الذهبي من برج الكاتدرائية يلعب في بهاء . وهناك في الاقرب البعيد كان زورق ذهبي ينساب فوق النهر في سرعة مفرود الشراع .

عبرت الجسر الى بيت الطلبة ، وكانت الانوار تتراعى من داخله ... مملكة من الشباب والجمال كانوا جميعا جديرين بالنظر اليهم ، وبدا انهم سعداء . ومع ذلك غابس هناك ما هو اصعب من ان يكون المرء سعيدا حقا . ان ذلك مثل وقوف الانسان فوق قمة جبل !

— لن تقتل رجلا قط ، ولن تأخذ مال غريك ، ولن تكون خاهلا ... وهذا يعني انك ستكون مليا .

— كل هذا حسن ، ولكن ماذا عن الحظ السعيد ؟ وهزت دنى راسها مرة بعد اخرى ، ثم بكت . لقد بكت حزنا على امي انيا ، وعلى ابي بولو ، ثم بكت على حظي الذي رأت انه لن يكون سعيدا !
والترتبت الصمت . ولكنني كنت اقول في نفسي « كلا دنى ، فانا الان سعيد الحظ بقدر ما انا طيب » .

« عندما يهتز التمح المصغر في الريح ... »
اوليس هذا حظا سعيدا يهب على من فوق ؟
ومهما كان حزن ليرموتوف حينما كتب :
« عندما اخطو وحيدا فوق الطريق ... »
فانني ساكون في منتهى السعادة عندما اخطو وحيدا فوق الطريق . فالطوبى ستغني وعجدها ، غير ان تغريدها سترامى في اذان الجميع .

●●●

كنت مبتالي مباشرة بغير مسودة ، ثم جلست بعيدا واخذت لاحظ الآخرين .

ورأيت امرأة طويلة اجتذبت اهتمامي بعد ان رأيت انها تشبه الى حد كبير ناظرة مدرستنا الثانوية في نوافيا روسا . كانت تسير بين الصفوف في اهتمام ، وكلما مرت بقربي التفت على نظرة رقيقة مشجعة . ادركت انها مراقبة ، فعدت اراجع ما كتبت . وكنت قد تخيرت جبلا بسيطة وان كنت حادة بعض الشيء . على كل حال ، وجدت بعض اخطاء في القواعد فندركتها في الوقت المناسب .

ورأيت الطلبة يسلمون اوراقهم ، فنهضت وهبطت الدرج في تودة ثم وضعت اوراقي على المائدة ، وبعد ان حبيت انصرف . وحينما وجدت نفسي خارج المبنى مضيت اضرب في شوارع المدينة على غير هدى . فكنت حينئذ كما قال الشاعر فوزينيسنسكى

« نفسي ... اينها المخلوق الصغير !

« انك على مسرح الحياة

« كجزء من جن متاكل

« وجرار في نفس الوقت ،

« فانت تشدين ثم تعدين ! »

لم اعرف ماذا افعل في ذلك الوقت ، فمضيت اتردد في نفاد صبر على سينما بعد اخرى ، باحثا عن اللون من المعرفة اصيلة جديدة مثيرة ، تتانى في الحياة القصيرة لاوتلك الذين يظهرون على الشاشة . فالواقع ان حياة الانسان على الارض لم يعد لها وجود .

لقد بلغ من اهتمامي بالحياة اني تصورها السينما انني كنت اترك دارا اذا لم اجد فيها مكانا واسرع الى

وبرزت فئتان من خلف المنزل ، واخذت كل منهما تنظر الي وتؤمى الى الاخرى . ولم يكن يستر جسديهما سوى لباس الحمام وكان من النوع المعروف بـ « البكيني » .
 أما « كاتيا » ، وهي شقيقة جينا ، فقد كانت صغيرة شقراء ، ذات وجه مستدير صبغته الشمس قليلا ، وكان جسدها مكشوا بزغب صغير فبدت كالبرقوطة الفاضجة . واما صديقتها « ليليا » فقد كانت اكبر واكثر نضوجا . فكانت كالخوخة الشهية .

وقالت ليليا : يسعدني ان التقى بك .
 ثم انفجرت الفئتان ضاحكتين مرة اخرى .
 تكلمنا عن الامتحانات ، ثم خرجنا الى البحيرة الصغيرة . وكان يوما سارا للغاية بالنسبة الي .
 ابدت مهارة في السباحة ، كما استطعت ان لعب الكرة الطائرة في براعة . وكان للفكاهات التي قصصتها على الفئتين اثرها في نفس كل منهما ، فقد ضحكنا كثيرا . والحق انني استطعت ادخال السرور الى قلب فتاة على الاقل . وقد بدا لي ان الفئتين كانتا سعيدتين . وكان هذا كل ما حدث .

عادت والدة جينا في المساء ، وهي سيدة مسنة تدعى ايندوكيا غاسيليفنا يغلب المرح على مزاجها . وكان الشيء الوحيد الذي اثر في نفسها انني نشأت بيتيا ، ولكنها طيبت خاطري بقولها « ولكنك استطعت ان تشق طريقك في الحياة » .
 وسرعان ما اتفخت مني صديقا لبث شكواها من جينا وكاتيا . وبدا الضحك في عيني جينا ، ولكنه

وقفت في اليوم التالي اقرا قائمة الراسيين . ورايت شابا على عينيهِ عوينات يتف بجانبي ، ويبدو انه كان راضيا عن القائمة ، وذلك لان اسمه لم يكن فيها ، كما اخبرني . فلما قلت له انني ايضا لا ارى اسمي انفجرتنا ضاحكين .

وبعد ان تحدثنا قليلا عرف كل منا الاخر بنفسه ، تعلمت ان اسمه جينا لازوركين وانه من ضواحي ليننجراد . ثم اخذ يقص علي من انباء حياته ، فقال انه امضى عامين في المدرسة ، وكان في ذلك مضيقا للوقت . ثم اشتغل عامًا في مصنع ، وبعد ذلك ادى الخدمة العسكرية ، ومدتها عامان . واخيرا جاء الى الجامعة ، فهل جاء متأخرا ؟

سالني ذلك وهو يضحك . ثم عرض علي ان نذهب معا الى السينما ، موافقت في سرور . وبعد ان شاهدنا الفيلم تناولنا بعض الجعة ، ثم اخذنا نذرع طرقات المدينة ، وكان كل شارع منها يعود به الى ذكريات من طفولته ، اما بالنسبة الى فقد كان يتصل بمغزى ادبي . وبدا لي الامر غريبا . فانا من اقصى تايجا وهو من ليننجراد ، والمسافة بين المكانين لا تقل عن ١٠٠٠ كيلو متر ، ومع ذلك فان افكارنا سرعان ما تلاقت ، وقد تلاقت بالاحص على نفس المؤلفين والكتاب ! وكان من بواعث سروري ان شعرت باننا قد التقينا على اسس متعادلة ، وان كلا منا قد شعر بميل نظري الى الآخر .
 ترى هل كان هذا اول لقاء لنا في هذه الحياة التي لا يعلم احد متى بدأت مراحلها المتعاقبة ومضى تنهوى ؟ علمت انه ذاهب الى مكانه في الريف . ومشيئا معا حتى بلغنا محطة فنلندا « وهناك سالني ما اذا كنت لا اود ان اذهب معه لقضاء بعض الوقت ، فقللت هيا بنسا .

وجلسنا في عربة من القطار الكهربائي لم تكن ممتلئة ، فانطلق بنا فوق جسر عال يشرف على المدينة ، ثم انساب بين الحقول الخضراء . واخيرا اقتربنا فوق الرصيف واغلقت الابواب من خلفنا ، ولم تمش لحظات حتى غاب القطار وراء التلال القاتمة .

اتجهنا الى المنزل الذي بدا بسيطا في مظهره ، وقد قام في بقعة هادئة تشبه بقاع سيبريا . ولم نر احدا في الحديقة الصغيرة ، فمرنا صوب المنزل في مر قامت على جانبيه شجيرات امتلات بالزهور . وحينها كنا قبالة الباب صاح جينا « كاتيا ! ! » فلم يرد احد . ولكن لم تمش لحظات حتى سمعنا في الداخل حركة اعقبها ضحكات ، ثم سمعنا صوت فتاة تقول :

« من ذا الذي معك يا جينا ؟ »

ورايت جينا يخلع قميصه ، ثم خاطبني قائلا :

« اخلع قميصك ، فسنذهب لنسبح قليلا » .



لم يقل شيئا . وانها كانت كائنا التي تكلبت ، فقد قالت لهما عاتية :

« اواه ، ما بالك يا اماء لا تفتنين تحملين علينا ؟ »

والحقيقة انني لم افهم لماذا كانت الام غير مسرورة ، ولماذا نالت كائنا هي ايضا غير مسرورة . فقد خطر لي ان بامران كل منهما ان تكون سعيدة كما كنا ، بل وتكون هكذا دائما !

بعد ان تناولنا العشاء تاهبت ليلى للعودة الى منزلها . فقد كانت تقيم في لينجراد ، وقد رايت ان انصرف معها بالرغم من الحاح السيدة ايندوكيـا غاسيليفا بان ابقى في ضيافتهم تلك الليلة .

وكما حدث في المجيء لم يكن بالقطار سوى قليل من الناس وكان الشبان ينسكعون هنا وهناك ، بعضهم يعزف القيثارة والبعض يغني بأصوات خشنه ، فلم يكن في ذلك شيء من الطرب . وسار القطار بين حقول خضراء امثلاث نبات الكرنب .

لم تكن ليلى جميلة بالشكل الذي يتجارب مع احبائي . ومع ذلك فقد كان فيها جاذبية قوية ، وكانت شخصيتها تشع نوعا من السحر مزوجا بالمعطف كان مريعا بالنسبة الي . فقد كانت تشبه ايفجينيا بوريوسونا الى حد كبير .

ظلت صابئة طول الوقت . ولكنها لم تكلم عن النظر الى . وهو ما جعلني لا اجزم على الحديث ، فقد خلت انها تشعر بانني اراقبها . ووصل القطار الى محطة نلندا ، فنزلنا معا ، وودع كل منا الآخر ، وبدأت تهبط الدرج بخطى متناقلة ، وكانت في حركتها تبدي الكثير من فنون الاتوتة .

وتلفتت ليلى حولها ، ويبدو انها كانت لا تزال تشعر بانني اراقبها ، فقالت وهي تسرع الخطى « اتنى لك حظا سعيدا يا غليل ! »

وكانت هناك امرأة تحمل اشياء اشترتها وقفت تشاهد ذلك فلما سمعت قول ليلى قالت لي « قل سريعا : اذهب الى الجحيم ... اذهب الى الجحيم ، فهذا يجلب لك حظا سعيدا ! » .

واستدارت ليلى مرة اخرى ، فلما وقعت عينها على وقفت ثانية ثم ضحكت . وددت ان اذهب اليها وراقبتها حتى منزلها ، ولكنني لم افعل ، فقد لاحظت من قبل انها كانت طوال اليوم تصد كل اشارة مني ، مع انه لم يكن لي « اغراض » خاصة .

ورايته تعبر الطريق ، ثم تعبر الساحة . مارة

بنصب ايتين ، فقد كان منزلها يقع على الضفة الاخرى لنهر نيفا . وقد سمعتها في ذلك اليوم تقول انها تعبر الجسر فقط لكي تصل الى منزلها .

ركبت الترام عائدا الى « نيفسكاى بروسبكت » وقد اختلط على الامر فلم اتبين الطريق الموصل مباشرة الى مساكن الطلبة . ومضى الترام يجلبجلب في بطء فوق الجسر ، فسادت ليلى ثانية من النافذة . كانت تسير وحدها ، وفي يدها حقيبتها وباقة من الزهور ، اما اليد الاخرى فكانت تتنازع بعصبية في الهواء . كانت تمشي قدما رافعة الرأس ، وبدأ عليها انها مجروحة الشعور وكانت هيئتها عموما تدل على انها تشعر بانها عاجزة عن الدفاع عن نفسها . هكذا رايته في تلك اللحظة ، وهكذا بدأت افكر فيها كل يوم . وكنت اعلم اننا سنلتقي ثانية حتما ، ان عاجلا او اجلا .

وصلت الى المساكن ، وعزمت على الدخول الى مكاني ، غير ان شيئا ما كان يشدني الى المارة . كان باعنا بحثني على مشاهدة كل منهم بذاته ثم مشاهدتهم جميعا معا . وفي هذه الحالة كنت اشعر بميل الى البغض وتغور من اخريين . وهكذا كان مزاجي يتذبذب كما تنذبذب اشعة الشمس فوق الاشياء والظلال فوق الماء .

كان الليل قد سلخ هزيعة الاول ، غير ان الشوارع ، والمصابيح ، والسيارات ، وجدران المنازل بدت كلها مضيئة . كما لو كانت مغمورة في بحر من نور . لقد رايت من قبل العديد من الفتيات الجميلات ، غير انهن الآن يبدون اكثر جمالا . فاخذت افكر في كل منهن وفهن جميعا في كثير من الرقة المشوبة بالرغبة . وقد بدا لي انهن جميعا ينظرن الى نفس الشعور الرقيق المشوب بالرغبة بينما كن يسرن للفتاني ، ليأتي غيرهن للفتاني ، ثم يأتي غيرهن ، وهكذا بغير نهاية .

ارتدينا فخر اوتابنا . وكنا خليط من الجنسين تتراوح اعمارنا بين السابعة عشر والسابعة والعشرين . وكان لدينا كل شيء . كل منا حوله اصدقاء ، ومن بينهم واحد اثر يحبه مرة ويعذبه اخرى !

ان الحياة جميلة ... هذا حق ! من هنا تكون الجمالة الحلوة ، اللامعة الرقيقة ، واليقينية النامة ، ومن هنا يكون الحزن الخفي ، وعزة النفس ، والشباب الخالد . اذ لو حدث ان مضيت اسير على طول هذا الطريق نفسه مائة عام ، فسيكون هناك دائما اناس يسرون عليه في نفس الموكب ... موكب الاجازة الذي لا ينقطع سيله .

الاحتجاج بالقراءات

بمقام: جميل عليم

<http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com>

بعيدة في العربية وينسبونهم الى اللحن . وهم مخلطون في ذلك . فان قراءتهم ثابتة الاسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها . وثبت ذلك دليل على جوازه في العربية (٣) . وقال ابو عمرو الداني في ذلك : « وأمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الاثر في اللغة والاقيس في العربية ، بل على الاثبات في الاثر والاصح في النقل . والرواية اذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا غشو لغة ، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها (٤) » .

ومها يكن ، فالخلاف بين المميزين والماتعين هو خلاف بين اتجاعين فكريين متناقضين هما انجاه اهل النقل وانجاه اهل العقل او اهل الاثر واهل القياس . وقد نتجاوز ذلك فنقول : انه خلاف بين فئة تحكم الايمان والعقيدة في القضايا العلمية . واخرى تحكم العقل

يجمع العلماء على ان القرآن الكريم اثبت نص واصح اثر . وانه جدير بان يكون المرجع الاول والمعتمد الاساسي في وضع القواعد واستخراج الأدلة . هذا ولم يختلف احد في ان القرآن الكريم اصل من اصول الاحتجاج في اللغة والنحو . غير ان النحاة اختلفوا في مدى الاستفادة من قراءاته . ففي الوقت الذي تقبل معظم الكوفيين كل هذه القراءات متواترها واحداها وشاذها (١) « استبعد البصريون من منهجهم الاستشهاد بالقراءات ، الا اذا كان هناك شعر يستندوا او كلام عربي يؤيدها او قياس يدعمها (٢) » .

وكان الاستشهاد بهذه القراءات موضع جذب وشد واخذ ورد بين العلماء . فمنهم المانع ومنهم الجيز . وقد عبر السيوطي عن ذلك بقوله : « كان قوم من النحاة المتقدمين يعميون على عاصم وحمره وابن عابر قراءات

والمنطق . وشتان ما بينهما .

وكمثال على هذا الخلاف بين الفئتين في موضوع الاحتجاج بالقراءات ، قراءة عبدالله ابن عامر ، وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (٥) ، فقد أورد ابن الأنباري هذه القراءة ضمن حجج الكوفيين على القول بجواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر قائلا على لسانهم : « فإذا جاز هذا في القرآن فلي الشعر أولى (٦) » .

ويرد ابن الأنباري على الكوفيين بقوله : « ولما قراءة ابن عامر فلا يسوغ لكم الاحتجاج بها لانكم لا تقولون بوجوبها ، لان الإجماع واقع على امتناع الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالفعل في غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة (٧) » . ثم يعرض موقف البصريين من هذه القراءة فيقول : « والبصريون يذهبون الى وحي هذه القراءة ووهم الفاري » ، اذ لو كانت صحيحة لكان ذلك من افصح الكلام ، وفي وقوع الإجماع على خلافه دليل على وحي القراءة . وان ما دعا ابن عامر الى هذه القراءة انه رأى في مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوبا بلياء . ومصاحف أهل الحجاز والعراق « شركائهم » «بالواو» (٨) .

أما أبو حيان فيعرض المسألة على وجه آخر فهو لا يجعل الخلاف فيها بين الكوفيين والبصريين ، بل بين البصريين وبعض متأخري النخاعة ، فيقول : « وهي مسألة مختلفة في جوازها . فجمهور البصريين يمنعونها ، متقدمون ومتأخرون ، ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر (٩) » . ثم يرد بعض أقوال منكري هذه القراءة فيقول عن ابن عطية قوله : « هذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب ، وذلك انه اضاف الفعل الى الفاعل وهو شركاء » . ثم فصل بين المضاف والمضاف اليه بالفعل . ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظروف في مثل هذا ، الا في الشعر كتول الشاعر :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودي يقارب او يزيل
تكيف بالفعل في افصح الكلام (١٠) .

وينقل عن أبي الفارسي قوله : « هذا قبيح قليل الاستعمال . ولو عدل عنها ، يعني ابن عامر ، كان أولى لانهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف اليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف وانما اجازوه في الشعر (١١) » .

وينقل عن الزمخشري قوله : « ان الفصل بينهما

(يعني المضاف والمضاف اليه) غثي ، لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر كان سمجا مردودا ، فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته (١٢) » .

ومع ان أبا حيان كان بصري النزعة ، فقد خالف البصريين في هذه المسألة ، ومال الى جانب مخالفيهم مدعوا بماطفته الدينية . قال في ذلك : « وبعض النحويين اجازوها (مسألة الفصل بين المتضافين) وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة للعربي الصريح المحض ابن عامر الأخذ القرآن عن عثمان بن عفان قيل ان يظهر اللحن في لسان العرب ، ولوجودها ايضا في عدة أبيات قد ذكرناها في منهج السالك (١٣) » .

وقد رد على ما أورد من كلام الزمخشري بقوله : « وأعجب لمعجمي ضعيف في التحوير يد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت . وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الائمة الذين تخبرتهم هذه الامة لنقل كتاب الله شرقا وغربا . وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم (١٤) » .

أما ما نقله عن ابن عطية والفارسي . فقد اكتفى بقوله بالنسبة للاول : « ولا يلتفت الى قول ابن عطية (١٥) : « يلتفتي ولا يلتفت الى قول الفارسي (١٦) » .

ويتطرق الى هذه المسألة بعد أبي حيان ، عبد القادر البغدادي ، فيبحثها بحثا تفصيليا . وعلى الرغم

من انه نقل عن أبي حيان ، واستفاد منه ، فقد زاد عليه في الشرح ، وسد بعض الثغرات التي خلفها . ففي حين ذكر ابن الأنباري ان الكوفيين من مؤيدي قراءة ابن عامر ، وفي حين لم يتطرق أبو حيان الى موقف الكوفيين البتة ، يذكر البغدادي بهذا الخصوص ما يلي : « ان نسبة جواز الفصل في الشعر بنحو المفعول الى الكوفيين لم يعترف به القراء (١٧) » . وينقل عنه قوله ان قراءة ابن عامر هذه ليست بشيء (١٨) ، ويقول ايضا : « والزمخشري في طعنه على هذه القراءة مسبق ايضا بالقراء . فكان ينبغي الرد على القراء ، فانه هو الذي فتح ابتداء باب القدر على قراءة ابن عامر (١٩) » .

وينقل البغدادي عن أبي عبيد قوله : « لا احب قراءة ابن عامر لما فيها من استكراه . والقراءة عندنا هي الاولى لمحتسها في العربية مع اجماع أهل المنبرين (البصرة والكوفة) عليها (٢٠) . ويعلم ذلك بقوله : وهذه الاقوال كلها لا ينبغي ان يلتفت اليها لانها طعن في المتواتر وان كانت صادرة عن أئمة اكابر (٢١) » .

ومما أوردنا ، يتبين لنا أن قدامى النحاة بصريين وكوفيين انكروا قراءة ابن عامر ، وأن من تمسك بها هم قلة من النحويين المتأخرين ، كالسجين الحلبي وأبي حبان والسيوطي والبغدادى وسواهم ممن صدروا في مواقفهم هذه عن دواع عاطفية دنيئة .

والعجيب أن يبرز في عصرنا الحاضر من يتبنى مواقف هؤلاء ويأخذ بوجهات نظرهم ، مع أن مواقفهم ظاهرة التخلخل والاهتزاز . فمن هؤلاء الأستاذ سعيد الأفغاني الذي عرض القضية من جديد بقايل من التحقيق العلمى . وكثير من الانتدفاع العاطفى الحساسى (٢٢) . فقد طالب بأن يصحح النحاة البصريون قاعدتهم بهذه القراءة كما فعل الكوفيون . والكوفيون لم يقولوا بجواز الفصل بين المتضامين في غير الشعر على ما ذكر ابن الأثير . وقد سبق أن عرفنا رأي الفراء في هذه القراءة وقوله أنها ليست بشيء . ونضيف الى ذلك قول ثعلب ، وهو من كبار أئمة الكوفيين : وهذا (يعنى الفصل بين المتضامين) لا يجوز الا في الشعر (٢٣) . فكيف يصحح البصريون قاعدتهم على منهج الكوفيين وهم ليسوا على خلاف معهم في هذه المسألة في الترتيب على الأقل ؟

أما القراء الذين يدعوا الأستاذ الأفغاني للتبني بقراءاتهم مهما كانت متواترة أو أحادا أو شاذة (٢٤) . فحسبنا أن نورد ما نقله البغدادى عن الفراء من أصولهم . قال الفراء بشأن قراءة حمزة (ر) : « ليس أفتى بمصرخ » بكسر الهمزة . ولعلها من وهم القراء طبقا يحيى . فانه قل من سلم منهم من الوهم . ولعله ظن الباء من (بمصرخ) خافضة للحرف كله . والباء من الكلمة خارجة عن ذلك (٢٥) .

وقال الفراء ايضا : ومما نرى انهم وهوا فيه قولهم : « توله ما تولى ونصّره جهنم » وظنوا والله أعلم أن الجزم في الباء والهاء في موضع نصب ، وقد انجزم الفعل بسقوط الباء منه (٢٦) (يقصد توليه ونصليه) .

وأضاف الى ذلك قوله : ومما وهوا فيه (يعنى الفراء) قولهم : وما نزلت به الشياطين (٢٧) . يعنون ما نزلت به الشياطين بالطلع .

وحكى عن الفراء قوله ايضا : حدثني منسدل بن علي الغزى عن الاعشى قال : قلت عند ابراهيم وطلحة ابن مُصَرَف : « قال لمن حوله الا تستمعون » بنصب اللام من (حوله) فقال لي ابراهيم : ما تزال تائيتنا بحرف اثنع انما هي الم حوله) بخفض اللام . قال : قلت : لا انما هي (حوله) بنصب اللام . فقال ابراهيم : يا طلحة .. كيف تقول ؟ قال : كما قلت . قال

الاعشى : قد لحننا لا اجالسكها (٢٨) .

هذا رأي الفراء في القراء ، وهذا مدى علم القراء عند الفراء . والفراء هذا من مؤسسي المذهب الكوفي . فما رأي الأستاذ الأفغاني ؟ اما يزال يصر على أن المذهب الكوفي هو المذهب الصحيح ؟ ! لا يرى أن غلاة البصريين لم يذهبوا في مهاجمة القراء الى هذا الحد الذي ذهب اليه الفراء ؟ انه ينسبهم الى الوهم والجهل بالعربية . فماذا بقي لهم ؟ وهل ما يزال الأستاذ الأفغاني مقتنعا بصفا لغتهم واستقامة سليقتهم ؟ .

أما اندفاعه العاطفى فيظهر في مهاجمته العنيفة للزمخشرى . قال في ذلك : وكان على الزمخشرى وهو اعجمي تخرج بقواعد النصاة المبنية على الاستقراء الناقص ان يتحدى للقد رجل عربي قويم الملكة ، فصيح اللسان ، حجة في لغة العرب شيئا غير هــ الخطبايات (٢٩) .

ولا ريب ان هذه التهم التي كالمها الافغ للزمخشرى تليق أكثر ما تليق بالأفغاني نفسه كلامه هذا من الخطبايات . فهو ينهى عن شيء ويأمر بمثل . ومن الدلائل الدابغة على ضعف موقف الأفغاني وتهاوت رأيه انه انطلق من أساس واه ، واعتد على منهج غير سليم . والا فمتى كان العالم يقاس بحسب ونسب ؟ بل متى كانت العصبية القبلية هي الفيصل في القضايا العلمية . ؟

انه ليس من المنهج السليم في القضايا العلمية تفصيل العربي على العجمي والمسلم على النصراني . وسواء كان الزمخشرى عجميا أو عربيا ، فالنتيجة واحدة . فلقد كان سيئويه اعجميا ، ولم يطعن ذلك في قدره . ثم ان الزمخشرى من العلماء المشهود لهم بطول الباع في علوم الدين واللغة والنحو ، وحسبه نخرا كتابه (التكتاف) . وما اظن أن بوسع الأستاذ الأفغاني أن يقلل من قيمة ذلك الكتاب ، أو أن بغض من مكانة صاحبه ولقد كان الزمخشرى معتزلا يحكم العقل والمنطق فيما يتعرض له من مسائل وقضايا . وموقفه من قراءة عبد الله ابن عامر اكبر دليل على ذلك ، بالإضافة الى ان هذا الموقف يدل على ما كان يتمتع به من ذوق رفيع في شؤون العربية ، لان الفصل بين المتضامين امر مجروح مكروه بلا شك دونه نصب الفاعل ورفع المفعول .

هذا ولن يضير ابن عامر أن يقال انه سها أو نوه أو أخطأ ، كما لن يفيد قول الأستاذ الأفغاني بأنه كان من صميم العرب الذين يحتج بكلامهم (٣٠) ، أو انه كان حامي دمشق وشيخ مشايخ قرائها وإمام جامعها الاعظم على عهد عمر بن عبد العزيز (٣١) .

لن يفيد ذلك كله ، فليس عبدالله بن عامر بأ

من ينسب اليه اللحن ، فقد نسب اللحن الى النابغة
الذبياني (٣٢١) وحسان بن ثابت (٣٣) ودريد بن الصمة
(٣٤١) وجريير (٣٥١) والفرزدق (٣٦) ومعظم شعراء
الجاهلية والاسلام (٣٧) . واكثر من ذلك ان سيبويه
نسب الغلط الى العرب عامة . فقتال : واعلم ان
ناسا من العرب يغلطون فيقولون : انهم اجمعون
ذاهون . وانك وزيد ذاهبان (٣٨) . وقد علل ابن
الانباري ذلك بقوله : وهذا لان العربي يتكلم بالكلمة اذا
استهواه ضرب من الغلط فيعمل عن قياس كلامه (٣٩) .
وقد ذكر عدة اخطاء العرب شعرا ونثرا .

اريد ان انفذ من هذا كله الى ان العرب تخطيء .
وان ليس ثمة من نستطيع تنزيهه من الخطأ . وبناء على
ذلك يبدو ان تحفظ البصريين واحتياطهم واحتفالهم
بالكتير دون القليل وموقفهم المتشدد من القراءات ، كل
ذلك له ما يسوغه .

ومن ثم فلا ارى من الحكمة ، ولا من سلامة
الراي الانجراف الشديد في تسفيه اراء النحاة القدامى .
والمبالغة في الدعوة الى الاخذ بالقراءات والاعتقاد عليها
في تعقيد القواعد وتقرير الاحكام فما اظن من جهسوا
بهذا الراي من دارسي النحو في ايامنا هذه اصح عقيدة
ولا ارسخ ايمانا من نحاتنا القدامى .

والنقصية في جوهرها قضية منهج علمي ينحصر في
الاعتماد على القياس ، والاخذ بالكثر والاشيع والتجرد
من العواطف والانفعالات التي لا تليق بالعلم ولا
بالعلماء .

مصادر البحث :

- ١ - انظر في تعريف هذه المصطلحات الاثنان في علوم
القرآن للسيوطي ج ١ ص ٧٧ .
- ٢ - القرآن واثره في الدراسات النحوية لعبد العال
سالم مكرم ص ٩٧ .
- ٣ - الاقتراح للسيوطي ص ١٧ .
- ٤ - النشر في القراءات العشر ص ١٠ - ١١ .
- ٥ - الانعام : ٦ .
- ٦ - الانصاف في مسائل الخلاف ج ٢ ص ٤٣١ .
- ٧ - نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣٥ .
- ٨ - نفس المصدر ص ٤٣٦ .
- ٩ - البحر المحيط ج ٤ ص ٢٢٩ .
- ١٠ - نفس المصدر ص ٢٣٠ .
- ١١ - نفس المصدر والمكان .
- ١٢ - نفس المصدر والمكان .
- ١٣ - نفس المصدر ص ٢٢٩ .

- ١٤ - نفس المصدر ص ٢٣٠ .
- ١٥ - نفس المصدر والمكان .
- ١٦ - نفس المصدر والمكان .
- ١٧ - خزائن الادب ج ٤ ص ٢٢٠ .
- ١٨ - نفس المصدر والمكان .
- ١٩ - نفس المصدر ص ٢٢١ .
- ٢٠ - نفس المصدر ص ٢٢٢ .
- ٢١ - نفس المصدر والمكان .
- ٢٢ - انظر « في اصول النحو » ص ٤٠ - ٤٥ .
- ٢٣ - مجالس تغلب ص ٥٣ .
- ٢٤ - في اصول النحو ص ٤٥ .
- ٢٥ - خزائن الادب ج ٤ ص ٢٢٩ .
- ٢٦ - نفس المصدر والمكان .
- ٢٧ - نفس المصدر والمكان .
- ٢٨ - نفس المصدر والمكان .
- ٢٩ - في اصول النحو ص ٤٤ . ومن الجدير بالذكر ان
الاستاذ الاقناني لم يخرج في مجمل آرائه عما
اورده ابو حيان في البحر المحيط ، بل نقل عنه
في بعض المواضع نقلا حرفيا . وكانت الامانة
العلمية تقتضيه ان يشير الى ذلك ، ولكنه لم
يفعل .
- ٣٠ - في اصول النحو ص ٤٣ .
- ٣١ - نفس المصدر ص ٤٤ .
- ٣٢ - انظر الموشح للرزباني ص ٤٥ - ٥٥ .
- ٣٣ - نفس المصدر ص ٨٢ - ٨٧ .
- ٣٤ - نفس المصدر ص ١١ .
- ٣٥ - نفس المصدر ص ١٧ .
- ٣٦ - نفس المصدر ص ١٥٦ - ١٦١ .
- ٣٧ - يرجع في ذلك الى كتاب « الموشح في مآخذ العلماء
على الشعراء » ، ففيه كثير من الاغاليط المنسوبة
الى كبار الشعراء جاهلين واسلاميين ومولدين .
وكذلك ذكر عبد القادر البغدادي ان ابا عمرو بن
الغلاء وعبدالله بن اسحاق الحضرمي والخصن
البصري وعبدالله بن شبرمة كانوا يلحنون
الفرزدق والكميت وذا الرمة واضرابهم (انظر
خزائن الادب ج ١ ص ٢١) .
- ٣٨ - الانصاف ج ١ ص ١٨٦ .
- ٣٩ - نفس المصدر ص ١٩١ .



الغريب

تعالى قعقعات من كل صوب .. رهيبة
الشياطين اسرحت صاففات ..
فاستطارت في الاق في روح غريبة
كوكبات .. تروح تغدو كئيبة
اشراعت مخضوبة .. تتلوى ..
في اباد بتراء تدمى رطبية
واستبانات من عالم الناس الاف الدمى ..
تطفو .. اياها سلبية
بعد حين ..
تجمع اليوم اسرابا ..
وحامت حول الدمى مسترربة
نفرت في العيون ..
ثم تعالت صرخات مغزعات عصية ..
* * *
لم يكن للغريب أن يتوارى .. خلف باب ..
أو أن يشد رحاله
فتطى .. وطال
صار عمودا ...
وتنى .. ورق ..
صار ذبالة
نفسته الرياح ..
طار صوابا
اطفاته التلوج ..
شلت سمعته
الخيالات حوله تتدلى ..
من جبال .. تمتد .. تسمى حباله
تتقاضه انفس ضائعات ..
زاحفات اليه .. تبغي اهتباله
لم يكذب ..
فاستشاط .. اطلق ساقيه ..
وولى .. دون درب .. وهاله
ان تضيق الحياة عن قدميه
بعد حين .. تحكمت فيه الة ..

ضالت الشمس دربها في سحابة
غرس الليل ظله خلف غابة
ومشت بالوحوال احذية الاشباح ..
تنزو في نشوة .. في صلابة
الميازيب في السماء وفي الارض محاربت ..
لا تجد الكتابة
والمصابيح لاهثات حيارى ..
تنوارى خلف الصقيع مهابة
يرقص البرق في التوارع عريدا ..
يسيط الدجى .. يعري ثيابه
وتدير الزوعد حرب الطواحين ..
تدق الزجاج .. تذرو نوابه
قطع الليل داميته على الاعتاب ..
سنت على القامر بابه

* * *

اين يضي الغريب ؟
تاهت صواه ..
وعراه من الضنى ما عراه
كلما خط خطوة ..
نهشتها نزوات موصولة وشفاه
الظلال التوت ..
تشد اليها قدميه
فتلتوي قدماه
والخفافيش انقأت كاهله ..
فتدلى من تحتها كاهلاه
ليس يدري ..
ايمنطى صهوة البرق فيضي هناك ..
حيث ذراه؟؟
ايدق الطبول للرعد ..
حتى يطحن الرعد ليله في سراه؟؟
قتل الهم والصقيع التباغات حيارى ..
لم تدن منها يده ..
هدات غصبة السماء ..

شعراء من الأردن

بقلم: عبد الستار ناصر

ARCHIVE

الظاهر بسهولة عرضه للصورة الشعرية بينما تجدها لدى زقطان أكثر حرارة وعمقا ، فها هو في تصيّدته الجبيلة (من سيرة الرجل الذي وجد نفسه) يكتب :

قاتلتي أنت

فمن يأويك إذا ما التجأ الموت الي ؟
والحديث مع المرأة وعبر كل القصائد ، قاس وجنيد ، لكنها — هنا — المرأة التي اعطت والوطن الذي يخان والجسد الذي ابتلى بعذابات أكبر منه ، وقد يعطيك محمد الظاهر جوابا كافيا عن عرض حاله للوطن حين يكتب في تصيّدته (حديث خاص مع نفرتيني) :

تخلّيت عن شارة الحب والحرب يوما .

وزاوجت بين دمي والخيانة

وبعت جوادي الوحيد لوالى المدينة .

نكّن الديوان رغم وضوحه وهواجسه الغاضبة الخسنة ورغم اعترافاته ولعناته وجراحه ، يشهد في بعض جوانبه الفنية اتجاها ورموزا بالسة لكنّها تتناثر على صفحات الديوان بين جملة ادعائه ، حتى تكاد — وهذا ما يجهد عليه الشاعران الشاهدان — تختفي تماما حين يغلب عليها صدى القصائد كأنه يعتذر

اصدرت (رابطة الكتاب الاردنيين) قصيدته (عرض حال للوطن) وهو ديوان وقصائد ، كان ابرزها (عرض حال للوطن) وهو ديوان مشترك بين الشعارين غسان زقطان ومحمد الظاهر ، وديوان آخر بعنوان (قصائد) اشترك فيه ٢٦ شاعرا ، واختارت الرابطة فيه قصيدة قديمة للشاعر تيسير سبول وفاء لذكراه ، ويمتاز الديوان الاول باهتمامه واحاطته الحسية بما يدور على خارطة الوطن العربي ، بلفسة تصرّخ حيناً وتتعب من صراخها حيناً آخر :

وعندما نقرأ محمد الظاهر وهو يقول :

هنا وطن الخوف والحزن والصفرة الدائمة

او قوله في قصيدة النهر :

أوراق القش تسير مع النهر الخائن

أبدا نحو المجهول

تجد الشاعر الاول غسان زقطان يسبقه الى القول :

إن نكتبين ؟

لبحر السويس

وقد مر من نفري قاتلي ؟

وبين زقطان والظاهر لغة واحدة ، لكنها أكثر رقة لدى الظاهر وأكثر عنفا واشراقا لدى زقطان ، ويمتاز

عنها .. ولكننا نعلمي مثلاً على هذا قول محب الفلّاح :

يشهد السابقون واللاحقون

والأئمة العشرة الآخرون ... إلى آخر الشهادة .

ونأخذ آياتنا أخرى من شعر زقطان . يقول فيها :

في الحي العاقر (حنا)

يتجول حزناً في الشرفات

و (سالومي) تصدر كل الجاسات ..

وغير ذلك من إضافات يزجها كل منهما بين قصيدة وأخرى ، لكنهما معاً ، زقطان والظاهر ، شاهداً عصر وقضية ، يكتبان عن حياة العربي الجديد ، مع كل همومه وأشراقاته ، ضياعه وعشقه ، وعن البيت العربي الجديد الذي ينظرون إليه من نافذة القصائد ، بيت الفلسطينيين القتال ، وقد كان الديوان كافياً إلى حد ما للجواب والشهادة : فنياً وإنسانياً .

●●●

يقول فرانك أوكونور « أن أي فن حقيقي هو بالضرورة رواج بين أهمية المادة وأهمية المعالجة الفنية » وامتداداً لقوله هذا يؤكد أوكونور في مجال آخر على أن الكاتب « إذا لم يستطع أن يقرأ نتاجه الخاص عشرات المرات فلا يتوقع أن ينظر فيه القاري مرتين » وأتوالت كعذه هي خير دليل ومدخل إلى ديوان (قصائد) وهو المنشور الثالث لرابطه الكتاب الأردنيين حيث نجد مزيجاً من الجديد والقديم ، المنثور والعمودي والحر ، ونجد في بعض القصائد عنصر الزاوج بين أهمية المادة وأهمية معالجتها فنياً ، وبعض القصائد يمكن أن تقرأها أكثر من مرة وأخرى لا يمكن أن تفكر في الرجوع إليها .. بعض من هؤلاء الشعراء نعرفه ، والبعض لا نعرف عنه أي شيء وبعض آخر ربما كان ينشر لأول مرة ، ولكننا سنحاول أن نقرأ الديوان مرة ثانية كي نحدد بعض ملامح هذه الأصوات الشعرية الوافدة إلينا من الأردن الشقيق ، من أهله ومفكره ، سببها وأن منشورات الرابطة حديثة عهد بالصدور ، ولها وعليها أشياء كثيرة لا بد من الوقوف عندها بكثير من الاعتزاز إلاماً في ظهورها دائماً على صفحات كتاب جديد ، في الشعر والرواية والقصة والمسرح .

●●●

يبدأ ديوان (قصائد) بالشاعر أحمد حسن أبو عرتوب . يكتب عن موضوع عالجه كثير من الشعراء ، حتى عنوان قصيدته (في انتظار غودو) مكرر عشرات المرات في أعمال أدبية معروفة .

وهنا ، كما في بقية (انتظارات) غودو ، الذي يأتي ولا يجيء ، نجد الشاعر تاركاً يديه لاجنحة الرياح ، يصلي لها ، ويغادرها حزينا « يصرخ في النجوم والتخوم كالمفهوم . منتظراً سدوم ، لو تبعث من جديد كسي يصفح الجھول والمعلوم » لكنه في آخر القصيدة وبعد أن :

مرت الساعات والأيام والشهور

تظلمت سجادة الصلاة

بينها تجد الشاعر ، وقد آمن كل شيء في إذلاله ، ما زال واقفاً ، صلباً ، ينتظر أشعة الشمس واليأس والأيام ، وقصيدة أخرى أكثر من هذه دقة وجبالاً ، وأقل انتظاراً (للذنوب والصلاة) ..

●●●

أما الأصوات من النافذة الغربية (للشاعر أحمد المصلح ، فكانت لسبولتها وبساطة لغتها أن تسقط من يدي الشاعر ، وقد شعرت وأنا أقرأها بأن ملمات وكلاسا من القصائد تشبه هذه القصيدة حيث لا تعطي سوى الرنين الرتيب لنهائياتها :

تمضي السنين باثر السنين

وصوتك ما زال ينزف رجع الحنين

أما أدوارد حداد في (البحث عن بداخل الملكوت) فقد كتب في بداية قصيدته :

تنساقط أمعاني للجوف

للدهليز المتعفن (يا قلبي)

أنشودة حب .

ولا تدري حتى آخر القصيدة ماذا كتب الشاعر حداد ، حيث المفردات لا رابط بينها ، وفكرة (البحث عن بداخل الملكوت) لا بحث فيها ولا ملكوت ولا بداخل ؟ وما كانت القصيدة طويلة فقد وجد الشاعر ضرورة أن يترك (ملحوظة) في آخرها يقول فيها :

آه رنوا الصوت ، قاتلتي الصدى

وسقطت في قاع انكسار

شاهدي كان النهار ..

ما دام كل الشعراء يكتبون الواق واق عندما يذكرون العراق .

ثم يكتب الشاعر ويلهجة شعبية ، مقطعا ثالثا بعنوان (يللي قضيت العمر) هاربا من الشعر السى الغناء والطرب :

**فيروز في المنى غنت على بابك
يللي قضيت العمر تبكي على حبابك
راحوا وفلاك الهجر ايش البكا ناك ؟**

●●●

اما الشاعر (تيسر سبول) وقصته مع الموت معروفة لدى احبائه واقرانه ، فقد اختارت له الرابطة قصيدة يدل عنوانها — النهاية — على موت سبول ، وقد نشرها وفاء لذكرى صديق عزيز . . . وأورد فيها يلي نص القصيدة ، وقد نشرت عدة مرات في صحف ومجلات عربية ، وقد قرأتها اكثر من مرة فيما سبق حيث انها رسالة من تيسر سبول الى صديق له يقول فيها :

**انا يا صديقي اسير مع الوهم ، ادري
ايهم نحو تخوم النهاية ، نبيا غريب الملاح اضي
الى غير غاية**

**ساسقط لا بد ، يلا جوي الظلام
نبيا ، قتلا وما فاه بعد باية
وانت صديقي ، واعلم ، لكن قد اختلفت بي طريقي
ساسقط ، لا بد ، اسقط ، يلا جوي الظلام
عذيرك ، بعد ، اذا ما التقينا بذات منام
تضيق الفداة وتنسى ، لكم انت تنسى
عليك السلام . .**

وقد قال البعض ان هذه القصيدة هي (وصية) تيسر سبول ، وان من الصعب ان نحاسبها نقديا ، لذا انركمها للقراء وصية ان ينفذوها بانفسهم .

●●●

وبعد ست قصائد من الشعر الحر ، نقرأ عمودية جمعة السلام (دموع من مكة) وهي اقرب ما تكون شبيها بالشعر الحر نفسه من حيث دلالاتها الفنية والحسية والدينية ، كما انها تحكي واقعا معاصرا عن نكسة حزيران واحتلال القدس وتمتاز القصيدة بالركة والغضب في آن واحد — رقة اللغة وغضب المضمون — حيث يقول :

**باي حرف اسرق القول انظمه
وكيف ينشد من في حلقة قذع
ثم نصل مع الشاعر الى :
قصائد الشعر تتزرى من منابر
مزدانة اللفظ في اعطائها الورع**

وقد كنت — مع النهار — شاهدا اخر على سقوط الشاعر في قاع الانكسار : انكسار اللغة في قاع القصيدة الذي ما كان من (عوق) فيه ، ولكن من يدري ، ربما كان ادوارد حداد (اوزة عندما يفكر وعبرني عنديسا يشعر) كما يقول غرائك اوكونور ، وربما العكس ، وكليهما ممكن ؟

●●●

وبشترك (امين شنار) في الديوان بقصيدة (اويس) واقفا بابواب مكة . يسأل حجاجها عن اويس ، ويفتش (افئدة الطائفين) وما من نبا عنه ، ويصف اويس ، يقول فيه :

١ — فقير غريب باسماله يتغنى الصغار
٢ — تزود بالجوع والصبه ثم ارتحل .
٣ — اويس يابة ، انت من بعيد ورفت بأرض الحرم .
٤ — اويس غيامة ، سرت ليلنا في انظطار العطاش الى قطرة من بريق .

ولكن (اويس) لا يظهر حتى آخر القصيدة تاركا شاعرها يستغثت ويفرق ، ثم تكبل رجليه اغلال عمر طويل ، ثم يبكي ويومئ حزنا) واويس لا يظهر ، تاركا خلفه لغة شغافة وقصيدة جميلة تمتاز عن اكثر قصائد الديوان بسلامة المفردة وعبق الصورة وايضا ، بصوت امين شنار الذي قرأنا له قصائد ذات مستوى .

●●●

اما الشاعر (يسام غلبي) فيما يكتبه يشبه كثيرا الذي يكتبه حديد . ما يكتبه الشاعر احمد المصلح ، بهذه اللغة الهشة البسيطة الخاسرة نفسها من البيت الاول ، والتي يكتب مثلها عدد ليس بالقليل من الشعراء الشباب الذين يظهرون هنا وهناك بمعتمدين على نراث باليس من الدواوين السهلة ذات البعد الفقير من اللغة والفن والروية . فثاني قصائدهم اكثر شبيها بما تراءوا واحيانا اقل فائدة . . . وما هو في قصيدته (مراني الايام الميتة) يقول :

**حليت يا مدينة الرماح
حليت بالثناء . .**

**او
يضميني ، يروح بي
الى بلاد الواق واق
رايت عشتروت**

تموت في مدائن العراق

حيث نرى ان الواق واق لا بد ان يسبقها او يليها العراق ، قافية تسجن نفسها في بؤرة جد ضيقة ، حتى ليظن القراء ان من السهولة على المرء ان يكتب الشعر

والمبائعون يدور الكاس بينهمو

مع الفطرة ، ونحن المال والسلع

وهنا نقف على عيب واحد هو ان معظم ما ورد في القصيدة مأخوذ — صورة ومضمونا — من قصيدة للشاعر نزار قباني ، مع فارق واحد هو ان نزارا أعبق تعبيرا واكثر عنفا ورقة واعني عنف المضمون ورقعة الشعر ، وكان اكثر من جمعة شاعرا ، ومفردات قباني تحتل مكانها في كتابات جمعة السالم ، ولكن ، بترتيب اقل تضوجا مما ورد في القصيدة النزارية .

●●●

ولا يختلف الشاعر جميل أبو صبيح عن اقراءه (أبو عرقوب وامين شنار) فهو حريص على لغته ، ومفرداته اشقى (من طفل مذبح) :

فارض البحر كريل الصحراء

وغيم البحر سراب الصحراء

وبين البحر والصحراء يحاول ان يبني خبيصة عشق (داخل قصيدته الجميلة (وشاح اخضر على خاصرة الصحراء) وهذا الشاعر يترك لك خطا يربط الشعراء الاردنيين في دائرة واحدة ، فانت لا ترى كثير فرق بين شاعر وآخر ، حصين حصنين في (العبور الى مدن الموت) يشبه او يقترب من خالد الساكست في قصيدته (قراء في دفتر ربيع قادم) وميالا على ذلك ما يقول الاول :

كل الفصول بوار

جميع المواسم تبدأ حيث انتهينا

ويكتب الثاني :

دلفت الى غابة الحلم

كانت ظلالا وأما

واشجارها ، باعناق القرب ، توقع لحنا .

اعني بهذا ان حال القصيدة لدى الشعراء ، يكاد يكون مشتركا بهواجسه وأبعاده وحذوسه ، والفارق القليل بين قصيدة وثانية هو الفارق البسيط بين شجرة وشجرة ، او بين نهر ونهر .

●●●

وعلى ذكر النهر ، يكتب سليم دبابنة قصيدة عنوانها (العاشق والنهر) يجعلنا فيها اكثر ايمانا بما قلنا ، اذ يقول :

هي انسابت مع الماء ، مع النهر الذي نابا به

هي انسابت مع الماء ، مع النهر الذي دأخا به

الى اخر انساب في القصيدة ، حيث تنساب في (ذبول الصلوات) وتنتهي القصيدة والعاشق والنهر لنقرأ بعدها (جبان هو الموت عند التحدي) للشاعر سيمر الشمولي ورغم قصرهما تقرأ (١٦) كلمة (لماذا) ولا ادري لماذا .

لماذا اجوع للحظة حب

لماذا اجوع

لماذا اجوع لكسرة خبز وبيت صغير

لماذا اظل بدون جناح

لماذا احبك

لماذا اطارد باسمك كل الصمام

و (لماذا) اخرى تتناثر بين بيت وبيت ، لكنك اخيرا لا تدري اين (الجبان) اذا لم يكن ثمة مسوت في القصيدة ؟

●●●

لم اجد اي شيء في قصائد عاهد شاكرا (اغنيات نارية الى طيور الابلابل) وعبدالله منصور (بطاقات من مفكرة غريب) ومحمد حسن داودية (الحب الذي تبتلعه التفاصيل الصغيرة) ومحمود الشلبي (عذابات مسجلة على معالم الطريق) وتكاد عناوينها الطويلة تكني ايضاها لمضامينها ، فهي مجرد اغنيات ناقصة وبطاقات عاجزة عن الوصول وحسب ابتلعه التفاصيل الصغيرة وعذابات مسجلة فوق طريق ما ، ولا ادري سر العناوين الطويلة في هذا الديوان ، فيها عدا عنوان واحد او اثنين لا تقرأ سوى (قصائد) كاملة في لباس (العناوين) . ويشترك الشعراء عاهد وعبدالله وداودية ومحمود في البحث عن تركيبات توازن بين العصر وحضارته وصوته ، لكنهم يتعمقون غريسة هذا البحث ، حتى لنصير القصيدة لدى كل واحد منهم (هيا) لا ابداع فيه (تمبا) لاجراء منه .

●●●

وفي الشعر المنثور يكتب عبدالله الشحام (من دفتر الغزل) قصيدة تحت ثلاثة ارقام ، في الاول (تبدد اشعرته في افق حبيبته ويهواها) وفي الثاني (يسافر في عاصفة الثلج كزهرة البراري) وفي الثالث (يسافر في فرح الاطمار الزرقاء وتصير روحه شجرا وبصحرا وعويل) .. وهذا دفتر المليء بالفزل لا يضيف شيئا الى دفاتر العشق ، فقد كتب مثله عدد كبير من الفائزين والمناجحين والشعراء ونفس ما يقال عادة ، نقرأ سنة بعد اخرى تحت ثوب — مهما كان جديدا ولاهما — هو نفس الثوب الضيق الذي لا يتسع لروح العصر ولا يشير لشيء ، ولكن القصيدة ما تنفك تحاول ان تعطي نفسها باستمرار ، حتى النجاح .

●●●

اما الشاعر محمد ضمرة ، فقد جزا قصيدته (قراءة الابراج الواعدة) الى تسعة اجزاء تلبية لرغبة القصيدة في التحول من قافية الى اخرى ، وكل جزء يبدأ بفكرة وينتهي الى فكرة ثانية ، تحت رقم (٤) يكتب :

من غيرك يقرأ افكاري

عاشقتي انت الاولى

ثم (يأتي من خلف الصحراء يحمل احزانه وقائمه
اسماء الشهداء) واذا بالعشق الاول قد صار عشقا
شيء جديد ، دون ان تمر القصيده بصحراء او شهداء ،
كن ضهرة شاعر عاشق ، فرغم كثرة (المصداقات
الخطف والموت والتنهكات) في قصيدته المرتبة ١ - ٩
التي ضاع منها رقم (٣) تبقى له لغة الشعراء .
واذا كان لا بد من ايجاز القول ، نكرر ان مؤيد
لعلي في قصيدته (وما بيننا السيف والخطوة العاقلة)
ريب من ضهرة ، واسحب على الثاني ما قلته عن
لاول :

وكنك احبك ، حين تلبست جرحي
وايقنت ان هواك سيقتلني

ويشترك محمد الطاهر في ديوان (تصائد) بوحدة
مما نشر في (عرض حال للوطن) اما غسان زقطان
فينشر قصيدة جديدة عنوانها (تقويم جديد للزمن
الفلسطيني ..) هي امتداد لما كتبه من شعر في نفس
الديوان .

وما زال في الديوان خمس قصائد للشعراء (علي
البكري ، علي فودة ، عمر ابو سالم ، فايز صباغ ،
وغواز طوقان) وامل ان اكتب عن تصائدهم في وقت
اخر .

وتبقى كلية اخيرة لا بد ان نقال : هي ان الشعر ،
اذا كانت الاردن وحدها تملك هذا العدد من الشعراء
الشباب ، فليس من شك ان الشعر ما زال بخير ..
عبد الستار ناصر

الحذاء الضيق

شعر
عبد اللطيف
عبد الحليم
- مدريد -

فائز العين ، تائه الظن
والطريق الممتد يقذفه
لهب الشمس ظله ، فاذا
لا يرى قطرة ، وقد صديت
نسيته سخابة ، فجهنت
وصخور مسنونة ، نهشت
مالست الهام منه في سقم
فغدا اظلع المني ، هرم الشوق ، يفني في قبره العفن
كلما رام نسمة ، خنقته كهو ف مشبوبة الاحسن
بذل النفس راضيا ، ومضى
ما ارتضى البخس في القديم ، فهل
وجئا كالوهاد ، جلها الذل ، حتى ضاعت مع الوسن

ايها المجهد الاسيف ، الا
كلنا نلبس الحذاء ، على
ركنت للاسى اضاالعنا
فبتى نخلع الحذاء ، لقد
تحطم الكف قائم الوثن
ضيقه ، في طريقنا الاسن
واضعناها ، دون ما ثمن
طال - والله - جائر الزمن

كلام كبار

حسن موسى



قصة للأولاد

— كلام كبار — غير أنه قطع بحلقتهم
الغريبة فيه :

— ليس هذا كلام الكبار .
— وما هو كلام الكبار إذن ؟
وقبل أن يجيب صمت لحظة ، رفع
بصره . عاين في الشارع كمن يبحث
عن شيء ضاعه ، ثم ابتسم .
قال الجماعة بغيظ : تسخر
مننا ؟

— لا . انتظروا اللحظة ، انظروا .
أشار ناحية زقاق فرعي صغير
مترب بفصل بين خطين لمراسف
مأكلة . في تلك اللحظة كان الصبي
أحمد قد أقبل بهمة ، ويبدو أن الرابع
يعرف تماما إلى أين يذهب أحمد
كل يوم لذا فعندما اقترب من الصبية
الاربعة ، صاح الرابع :

— مرحبا أحمد .
— أهلا .
— تعال لعب معنا .
— شكرا ، لا أستطيع ، إن أبي
ينظرني ، سأساعده في عمله .
عندها التفت الرابع إلى الثلاثة وقال
بهدوء ..
— هذا كلام كبار ..

حسن موسى
البصرة



على الآخر الذي ظل منتصبا . كانت
هينتهم مثل قوم دخلوا نقاشا حادا .
كانوا صغارا ، لذا كانت هينتهم
مضحكة . أما الرابع فقد وقف يرتقب
ما تسفر عنه هذه اللعبة الغريبة .
قال الثالث : سنقول كل شيء كبير ،
تماما مثل الكبار .
وعاين بوجوه الآخرين . وافق
الاول والثاني وظل الرابع صامتا .
قال الثالث : اسعد
قال الاول : نمر .

— جبل
— بحر
— حوت

وهكذا انهمر سيل الاسماء الكبيرة
.. حصان ، نور ، بقرة ، رددوا
اسماء واسماء . أشياء وأشياء .
غير أنهم في النهاية إما لتعب أصابعهم
أو أن الذاكرة أعينتهم عن تذكر أسماء
كبيرة أخرى صمتوا وحلقوا كل بوجه
الآخر . في لحظات صمتهم تلك التي
استطالت كانوا أشبه بالفرقي كل
يستنجد بالآخر أن يقطع هـذا
الصمت .

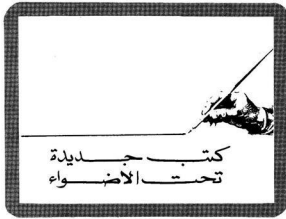
قال الرابع قاطعا الصمت : مازلت
صغارا .
التفتوا ناحيته . نظروا بوجهه .
كان الوحيد الذي لم يشترك بلعبة

بعد أن لعبوا كثيرا ألعابهم
المعبودة ، قرروا أن يبحثوا عن لعبة
جديدة .. كانوا أربعة ، وبالرغم من
كونه لا يقل عن الثلاثة الآخرين رغبة
في اللعب ، يميل الرابع للصمت .

قال الاول : كل الألعاب لعبناها .
قال الثاني : ماذا نفعل الآن ؟
قال الثالث : تعالوا نجلس ونفكر .
أما الرابع فقد ظل صامتا حتى
عندما احتواهم ظل جدار أحد المنازل
.. كان الظل يتسع ، فالشمس
تنحدر باتجاه جهة السماء الغربية .
برودة الجو في أيام نهايات الصيف
تجعل الرغبة في اللعب أكبر ..
صرخ الثالث : وجدتها .

رد الآخرون : هاتها .
— ما رأيكم ؟؟
— لا تصمت قل .
— ... أن نصير كبارا .
— كيف ؟
— ننكلم كلام كبار .
— سأل الرابع وما فائدة ذلك ؟
— رد الثالث بتصير كبارا ، مثل
الكبار .

صاح الاول والثاني جذلين
— عظيم ، لعبة ممتازة .
جلس الثلاثة وقد نثى كل منهم
أحد ساقه تحته ووضع أحد ساعديه



اويديك ايساهاكيان

ترجمة : نزار خليلي
عرض : عبد اللطيف الانزاووط

<http://Archivebeta.Sekhril.com>

وفي اوائل فتوته ظهرت ميوله الادبية .. فكتب مقالات وقصائد عكس على صفحاتها الدائمة الامم الشعب الارمني .. فاصدر ديوانه الاول عام ١٨٩٦ (اغان وجراح) . وقد تضمنت اشعاره نغمة حزينة كثيفة بعدما تآثر بنتائج المذابح التي ذهب ضحيتها مليون ونصف المليون من الارمن .. اما من بقي منهم على قيد الحياة فقد لجأ الى البلاد العربية .. لقد عرف (اويديك) بشاعر قضية امته ووطنه .. فاجب ارضه .. وانطلقت روحه الثورية لتتسلق شموخ قصائده .. ففي قصيدة (دخان الوطن) يقول :

ها اذا من جديد على ارض الوطن
انظر بعين الطفولة الى النجوم البعيدة
المتأللة منذ الازل
ها هي الدنيا تشمخ امامي كمعجزة
رقيقى القديم
التبر الرائع

قد يستمتع المرء حين يتأمل مشاعر الآخرين .. فينتقل بين رياض افكار الشعوب .. ويرتاح للاغاريذ التي تطوي اصداء النداء والوفاء لقضايا الانسانية والتي يلتقي عليها الشاعر او الاديب غلالة الفن الثقافي ..

ومن هؤلاء الشاعر الارمني (اويديك ايساهاكيان) حيث قام الاديب الاستاذ نزار خليلي بترجمة بعض اناره الادبية من مقطوعات شعرية فائقة .. وقصص واقعية رائعة . وجمع هذه الزهار الخالدة في باقة جميلة مختارة من شعر ونثر .

ولد الشاعر الارمني العظيم (اويديك ايساهاكيان) عام ١٨٧٥ في مدينة (الكسندرابول) وكانت ولادته في الوقت الذي كان الشعب الارمني يكافح في سبيل البقاء ضد الفناء .. وبعد ما انهى دراسته الابتدائية والمتوسطة حصل عمسا الترحال الى المانيا وفرنسا لمتابعة دراسته الجامعية .

ببقدم نحوي مرحبا
وقد ارسل خريزه المصذب
انظر الى مرآته الزمردية
فارى صورتي المشرقة كزهرة نواره

بهذه الصور .. يتأمل الشاعر مناظر وطنه
الخالدة التي تومض في افق ذكرياته .. ويستمر ليلتي
بذكرى ابيه وامه :

المساء هنا هاديء جدا
وعلى الاشجار تغني اخبار سارة
أرمق ابي الطيب
يسير الهوينيا على الدرب المألوف
وينادي بصوت امي ان اعود الى البيت
فاترك العالبي .. واهرع اليها
فتبتسم لي برقة وحنان ..
كشمس خالدة ..

ولم ينس الشاعر منظر الموقد والنور .. والخيز
والدخان الذي يتصاعد .. ويتلاشى في سماء وطنه :

نوقد امي النور القديم
ويتصاعد دخانه كالخيز العبق
بينما نتحدث حولي الامهات
وانا نائم ..
تحف بروحي الحكاية والخرافة

وفي قصيدة (الى وطني) يخاطب الشاعر وطنه
بعدما اضطر ان يبتعد عنه .. ويهاجر مع ذكرياته الى
بلاد غريبة عنه :

على حدود القمح الخصبة
أقف .. أفكر بصمت
ايه يا وطني المجيد
يا من كان يأتيه شذاذ الافاق
من المصائق والقلوات
ليغرسوا الرماح في قلبه
ايها الصامد على مفترق طرق الامم المتحاربة
تحت كابوس المصور القاسية
وسنابك الخيول الهائبة
يا من شحفت العقبان مناقيرها على صخوره
لتنهشه .. !!!
ايه .. ايها الوطن ..

ها انت تزدهر من جديد
فيتصاعد الدخان من اكواك القديمة
حيث كانت امي تهز سريري بحنان
لقد اقلت روحي الحكمة بلسانك

كي اغني حبك

يا بلد الآباء والأجداد
يا ذا الرأس الشامخ
يا من تلفظ بأسلوبك البليغ
لغني القديمة العذبة النابعة من القلب
يا وطني ..

في كل ذكرى تاتلق على افق الشاعر .. تنتصب
امامه صورة امه وابيه .. والدخان المتصاعد من مداخن
الاكواح .. والمهد الذي حزنه امه .. وحبه للفتاة التي
اخلى لها فيرحل النسيم العليل اريجها اليه ، فيضفر
الشاعر لها اكليلا من ازهار الشوق والحنين . لكنه
يشعر في كل ساعة من عمره انه مكافح وعليه ان يصمد
امام التكببات مهما اشتدت .. وامام النوائب مهما
عصفت :

في خضم بحر الحياة ..
أقف صامدا كالخصرة
تلطم الصاعقة جبهي المرفوعة
وابقي صامدا ..

تداهمني العواصف
وتلفني الزوابع
وتصططم الأمواج الهائجة بصدري
وأظل صامدا ..

تمسكوا بي ايها الناس الجبناء
والقرا بأسواركم تحت قدمي
فانا صامد كالصخر

وعندما يحس بالغيرة والاعتراب .. تلفه الوحشة
حتى تكاد ان تقتله .. فيعيش مع حزنه وبأسه ..
لينبأل النجوم المتلألئة في السماء .. وينشد المعزاء
لوجدته ..

اعيش بين القاس غريبا
عيونهم مغمضة علي
وقلوبهم مغلقة في وجهي
وأرواحهم لا تنصت الى صوتي
اعيش مع افكاري العميقة ..
تلك التي تغطي الألا نهاية بأجنحتها القوية
والنجوم المتلألئة

هي العميون الرحمة الوحيدة
التي تبتسم برقة في ساعة حزني ..

وبالرغم من برودة عزلته يوصد على نفسه ابواب

الرجاء والأمل .. ويرتعد للجهول الذي يجثم على
صدور البائسين .. ويتمنى لو بقي القلب يخفق من
وراء الغيب .

أعرف ان الأرض بعد عصور كثيرة
ستجهد .. وتتسحق
وتحت هذا الجليد
في الأعماق المظلمة
ستموت الإنسانية بأكملها .. وتدفن
آه .. لا يبقى القلب على الأقل في الكون
لينبض الى الأبد

ويتساءل الشاعر عن سر الوجود والحياة .. وما
هي النهاية التي تنتظره في أفق السديم . فينتلّي الجواب
من الطبيعة :

— ما ساكن بعد الحياة ؟؟
طرحتم هذا السؤال على الطبيعة
— كما كنت قبل الحياة
هكذا أعطتني الجواب

ويردد في بحنة أرقائه وتعبه .. باحثاً عن
وضوح الحقيقة فلم يجدها .. فيمتكف في صقيع وحدته
.. ليصف حاله .. ويتذكر أمه التي يسمع نداءها من
شطان وطنه :

من حزني المحرق تحطم قلبي
تحطمت حياتي .. فماذا بقي مني ؟
فلذلك ، ولتصبح دموعي بحراً مالحة
على ألا تعرف أمي بحزني
آه .. لا تشردت وهمت في الجبال
ارتطم على صخرة بعد صخرة
ولكن قلبي من نصيب الفئاب
على ألا تخزي أمي بوتي
وانشاء الحرب العالمية الثانية .. يرى نضال
الشعوب وانتصارها على الفزاة .. فيعيش جوارحه
العاصفة ومشاعره الهادرة .. ويرسل نداءه الى ابناء
أمة لحمل السلاح .. والكفاح لتحقيق استقلال بلاده ..
فينادي :

هيا هبوا يا أبناء الوطن
يا أبناء الشعب الإبي
هبوا تسلكوا .. تاهبوا
تنام الرياح والأنهار
لكن الصدو لا ينأ
ها هو ذا المجرم الظالم
يحبل السلاسل والقيود والإصفاد
يريد أن يذل أخوتنا الأحرار
ويستبيح وطننا

هاجموا أيها الإبطال بقوة
اهزموا الخيول المتخفزة بنبات
هبوا الى ساحة الوغى
الى أرض البطولة
تحت ظلال الراية المقدسة
اضربوا بالرماح الصاعقة
فاما النصر والعلا .. او الموت والمجد

وفي شهر ايار عام ١٩٤٥ .. شهر انتصار
الشعوب المناهضة على النازيين .. والبغى
الاستعماري .. خفقت قصيدة (يوم النصر الكبير) فوق
سارية الفرحه الكبرى للامم الظائرة المنتصرة بعد ما
ضحت ببلابيين أنانيها في معارك الحرية والإباء .

اغبننا سيفنا بعز في غمسه
انه يوم النصر الكبير السعيد ..

يا اخوتي ، لتشرب نخب ابني
ابني بطل هزم العدو
ولتشرب في صحة اولادكم
قال اب بهدوء :
وهذا الكأس لراحة ابني
فرغوا قبعاتهم باحترام
واطرقوا رؤوسهم بصمت برهة
شربوا بصمت نخب روح الشهيد
وسكبوا الخمر على الخبز المقدس

عاش حزينا .. فاجد الحزن حسرة في اعمائه ..
وهزت الآلام حياته .. فأعجب بأبي العلاء المعري ..
فكتب ملحمة (عروج أبي العلاء) حتى قال أحد النقاد
(ان اشعار هذين الشاعرين — اويديك وأبي العلاء —
هي عبارة عن شكوى أكثر من ان تكون تشاؤماً من
الحياة ، وان الحان قيثارتيهما حزينة .. لانهما عاشا
حزينين على شعبيهما اللذين تعرضا يوماً ما الى الارهاب
والفرقة والقتل والابادة) .

لقد منحنا الشاعر (اويديك) اروغ القصائد
والاناشيد كما قدم لنا بقية من القصص المتناقة من ضمير
الواقع والحقيقة وتتضمن العبرة من الحياة .. وذلك
في (الكوخ السعيد — اسبوع محكوم بالاعدام — دخان
الوطن — الريح العاصفة) .

وأخيراً .. عرف الشاعر الارمني (اويديك)
ايساهاكيان) كيف يعزف على قيثارة انشوق اروغ
الاغريد .. ويبيع من اوتار مشاعره ارق اللحان فكان
نورا بدد ظلمة الحياة .. فعاش لآلته ولوطنه بطيلاً
مناضلاً .. كما عاش لآلامه ولآلاميه شاعراً عظيماً ..

فصل من كتاب العاشق

شعر: طلعت شاهين

للمطر لا يلقى بظلال الخضرة فوق العطش المتشقق
واصير انا ..
مجنونا لا يعرف شبعنا من منهل عشق الارض الناهدة
النافرة المجنونة
واصير انا ..
في شفتيها افقا يمتلئ غيوما تتلبد بالطر
اسقط امطاري بين شقوق الشفة العطشى للكثير
حتى تروى كل شقوق الشفتين بامطاري
وتصيرين الواحة
وتعودين صبية
تحلم برواء الضوء المتوهج في صدري
وانا انام ..
في رعشة ظل الواحة
وتجيبين بخضرتك المسوجة ثوبا ضوئيا
ادخل في جسدي استنفيء
وانام على صدرك
وتنامين على صدري
ونصلي للاشجار المزروعة فوق ضفافك
نسقيها من احلام توحشنا
تنمو الاشجار تصير الغابة تحمي الوحش وتحمي الظبي
وتنام الاحلام التعبى في ظل جذور الغابة
* * *
في صدرك مازلت انام
في صدري مازلت تنامين
نتوحد في جسد ، نتمتع
نمتزج نصير النخل التوبي
نثر تمرا رطبا صيفيا
نثر تمرا رطبا مجنيا

طلعت شاهين
— القاهرة —

في رعشة ظل
كانت تلقى الراس الى الخلف
تلقى القدي اماها
والحلماط براعم
تلتصق بشعر الصدر المتمشط للاعلى
فتثور الحلماط الممتدة في زرع الصدر
تفرس اشجار او اعمدة رخام وهيكل عباد
عينك الواحة في عمق الصحراء المحدودة خلف الوادي
وتتوه النظرات المائتة بواحتك الجنة في صحراء
العطش
ترتع فيها ابلي وخيولي ، غنمي
ويصول عبيدي فيها وصفاري ،

ملكتي في كفك

— حين تشير الاصبع
تصبح ملكتي في كفك كاسا من خمر وسوارا من فضة
مرسوم فيه الفرعون ورب الشمس التاليع من خلف
الخط الافقي المعتم
وتصيرين اميرة وتصير نراعي احزمة في خصرك
والمملكة التاج المرجاني المتلائي فوق الليل المتسدل
كثيفا حول الوجه الضوئي المتوهج

* * *

احلم لكن الحلم حقيقة
فانا لا احلم بخيالي لكني احلم بالاشياء الممكنة التحقيق
وانا الان

في الحلم الاخضر

احتضنك في شبعي المتوهج

* * *

انت جبيلة

عائشة مجنونة

تجمعني في هديبها نظرة رعب شبعي

تجمعني في شفتيها (واحات ضاعت خضرتها العطشى

مجلة ابن زيدون

في الأدب العربي الحديث

القسم الأول

بمقام : الدكتور محسن جمال الدين بغداد - كلية الآداب



أخواني الإجماع ، سيداتي ، سادتي : www.vebeta.Sakhril.com ثم اردد بقوله عن (ولادة) حبيبته بعد أن أخطأ في تعيين اسم والدها فقال :

« وكان يكلف (بولادة) المهدي وبهيم ، ويستشيء بنور تخيلها في الليل البهيم . وكانت من الأدب والظرف ، وتتميم المسجع والطرف ، بحيث تختلس القلوب والإلباب ، وتعيد الشيب إلى اخلاق الشباب » .
أن ابن زيدون الذي ملأت دنيا المحبين أشعاره ، وعطرت مجالس الأدباء والظرفاء أخباره — يعيد إلينا أخبار العشاق في الجاهلية والإسلام . فله من الوفاء ما (لقيس ليلى) ومن الوجد ، ما (لجبل بئينة) ومن اللطف ما (لعمر بن أبي ربيعة) ومن رقة الشرائع ما (للعباس بن الأحنف) .

أن الدهر قسا على (ابن زيدون) في حياته ، وطارد خياله بعد مماته . فلماذا جعلوا من يحتفظ (نونيته) من الناس يصاب بالفراق وتحل به مرارة اللوعة والاشتياق .

قال الصلاح المصفي : في شرحه للرسالة الجدية في (تمام الخون) عن ابن زيدون قوله :

« ومن ذلك قصيدته (النونية) التي سارت في البلاد ، وطارت في العباد ، وقد اشتغرت حتى صارت

من هذا الشاعر الذي ملأ الأسباع ، واحتل القلوب ، وأحاط بالأمم ، وهز المشاعر ؟

من هذا الذي فاح الورد من أوردانه ، وتعطرت الطبيعة من بياته . والذي أنبتته بلاد خصها الله بالجمال ، وصورها بالسحر والدلال !!

ومن هذا الذي جمع بين فصاحة القول ، وبلاغة البيان ، واستطاع أن يكون دليلاً للعاشقين ، ومثالاً للمخلصين ، وروحاً هائمة في دنيا المحبين .

أن هذا هو ذو الوزارتين ، وزارة الرأع ، المتدفق شعرا ولطفا وظرفا . ووزارة القوة والتبهر وحسن الرأي والسفارة .

أنه — أيها الأخوة الإجماع — أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي (٣٩٤ هـ — ٤٦٣ هـ) (١٠٠٤ م — ١٠٧١ م) الذي وصفه (ابن خلدون) في (قلائده) وقال عنه : —

« هو الذي ظهر بنظائره ، وظهر كالبدور ليلة تهايه وجاء من القول بسحر ، وقتله أبهى نحر ، لم يعرف إلا بين ريحان وراح ، ولم يطلعه إلا في سماء مؤانسات وأمرأح .

في « مهرجان » ابن زيدون الذي نظمه المغرب
 الشقيق ، ودعي اليه عدد كبير من الادياء والنقاد
 العرب وبخاصة اولئك الذين وضعوا دراسات للادب
 الاندلسي التي الدكتور محسن جمال الدين الاستاذ
 بكلية الاداب بجامعة بغداد ، محاضرة قيمة عن هذا
 الشاعر العربي الكبير . وقد تفضل الدكتور جمال الدين
 فخص البيان ببجته القيم . بيد أن البحث اطول من أن
 يستوعبه عدد واحد من المحلة — مع بقية المواد —
 ولذلك فاننا نستطيع الكاتب والقراء العذر اذ ننشر
 البحث في قسمين فنؤجل القسم الثاني الى العدد
 القادم .

« البيان »

محذورة . فيقال ان ما حفظها أحد الامات غريبا ،
 وعارضها الناس في حياته وبعد مماته ، ولم يتأريوها .
 وكأني أرى حساد (ابن زيدون) من بعض رواة
 الادب وشعرائه . حذروا الناس منها لبيبتيدا عنها ،
 خوفا من أن تطمس روائع أشعارهم ، وتذهب من
 رونق قصائدهم .
 وهذا الامر كما يبدو للنقاد الفاحص يشابه تحذير
 الاتدبيين ، وبعض المعاصرين المتشائمين من شعر (ابن
 الرومي) بالنظر لما فيه من روائع التصوير وجمال
 التعبير .

ان قصة (ابن زيدون) المأساوية ، وما احاطها
 من احداث وقضايا سياسية ، واجتماعية ما بين
 ولادته سنة ٣٩٤هـ ، الى حين وفاته سنة ٤٦٣هـ
 لتعطي الدارس لتاريخ الاندلس وادابها ، صورا ناطقة
 بالعبير والدروس .
 فهذا الرجل الذي ولد من اسرة عريقة وجيبة في
 زمن (الدولة العامية) وعنفوانها ، وترى في احضان
 جده لاه (محمد اب ابراهيم) يتولى احكام السوق
 بقرطبة ، والذي تلقى المعارف والعلوم على طبقة من
 افاضل العلماء في عصره (كمسلم بن احمد النحوي) وابو
 العباس (ابن ذكوان) . علينا ان نطالع ملاح العصر
 الذي جاء فيه (ابن زيدون) ونشير الى اهم الحطات
 الهامة في حياته .

كما ان (ابن زيدون) لاقى لوعة الغربة ، وليالي
 النوى . يوم ان شحطت به الدار عن (ولادة) وغاب
 عن (قرطبة) ، وهو فتاه . موزع النفس بين
 (الشبيلية) و (مالقة) . وقد لمس من قسوة الايام عليه ،
 وجود الاصدقاء له ، ونسيان الاحباب لوده ، يوم
 ان التي في السجن بين المشردين والمارقين . لغضب
 (ال جهور) عليه ، وتغافلهم لفضله . كل هذا وغيره ،
 مما ادى مؤاده ، وأشعل نار الاسى في جنبه . فنظم
 القصائد الغر في سجنه مرة للحاجب ابي الحزم بن
 جهور ، واخرى لحبيبتة ومعشوقته (غزراء قرطبة)
 وزهرة جنبهما وتبع اشعاره بالرسائل المعطرة الخالدة
 البليغة . مستعظما ، وهائلا بالحوادث والخصوم . ما

بين جد القول ، وهزله . وجاءت جميعها صورة طيبة من صور الادب العالي الخالد .

سيداتي ، سادتي :

اننا اذا ذكرنا (ابن زيدون) اليوم ، واشدنا بعبقيرته الشعرية ، والنثرية ، وحلطنا ، ادبه واثاره ، ورسمنا صورة قلبية عنه ، انما ذلك من دلائل اعترافنا بقرائنا ، وتقديرنا للذوايح من رجالنا ، واطهار ما لهم من علم واسع ، ومن ادب جم ، ومن صفات عبقرية .

واذا كان القدماء في بلاد (ما بين النهرين) و (وادي النيل) اقبلوا النصب ، ونحتوا التماثيل للاشادة بعظمة مشاهير بلادهم ، وبنوغمهم ثم جاء الغربيون فقلدوهم . فما احوجننا نحن اليوم ، ان نقيم في بلادنا العربية كل عام نصبا مادية ومعنوية لمشاهير شعرائنا وفلاسفتنا وعلمائنا ، القدامى منهم ، والمحدثون . فمن زينا صالحيات الدنيا بناتج علومهم ، وعطروا اجواء العالم بسحر بلاغتهم ، وحكمة اشعارهم ، وفصاحة نثرهم ، وثمرات عقولهم .

وما قيام (المغرب العربي) المسلم الشقيق ، بهجران (ابن زيدون) الا لاني ، الا الدليل الصادق ، والبادرة الطيبة ، لثرائنا العربي الاندلسي ، الذي حلت به المصائب ، وهو في اوج تضججه ، وشئت شمله الفزاة وهو في ازهى اجتماعه ، وفطر عقده التعصب . وهو في اسعد صوره .

جزى الله (المغرب العربي) الاسلامي واهله خير الجزاء ، وجعله في حاضره كسالف تاريخه ، المنتصر لاندلس في محتنها ، والمحب لاختوها ، والملي لندائها في ايام مرابطيه وموحديه ، والجامع لبقايا شتاتها ، والصالن لثرائها . بحنان الحبة ، وعطف الابوة ، ونصرة الاخوة ، وعون القرابة ، وواجب الجوار والمغرب العربي . وهو الذي حافظ على عروبته اللغة العربية وتراث الاسلام ومجده ، يوم ان كان شرقنا العربي مسرحا للفزاة الطامحين من مغول وتار ؟

ايها الاخوة الامجاد ، والاساندة الاماضل :

خط براعى هذه المحاضرة فترأى لناظري لطيف خيال الشاعر الاسباني الشهير (فرنسيسكو فيلاسبيا) الذي ترجمنا بعض اشعاره منذ سنوات . وهو قد تزيا بالزبي العربي الذي كان يحبه في غرناطة ، ونظم انتصافه في تمجيد اجداده العرب من الاندلسيين ، وصور جبال غرناطتهم احصاء . بقصيدته التي ترجمها شعرا شاعر المجر النابغ المرحوم الشاف غزوي المألوف وهي (غرناطة اواد غرناطة) التي جاء بها :

لله حبراؤك ، تحسو الاسى
وحيدة في الروضة الخالية
لم يبق لا زهوة تدماها
ولا صدى اعيادها الماضية
ولم يعد للحب فيها انين
ينفذه العود عن العاشقين
غرناطة ، اواد غرناطة
ضعت فيا للعظم الضائعة
فيغزر الموج ويبكي لهم
حين يرى اعيانهم دامعة

تحدث هذا الشاعر الاسباني عن الشعر العربي ، وتراثه في المشرق والاندلس وتحدث عن اهمية شعره وكنهه اراد وعن شخصية (ابن زيدون) ، فقال : « ان هذا الشاعر استطاع بفن عجيب ان يعقل في قصص ابياته الذهبي الطائر العربي النادر . طائر ذريش من الحمل الناعم الاسم ، ومنقار من الصوان ، وعينين من العقيق » .

ثم تابع قوله :

وباصفاؤنا الى هذا النغم الرشيق انسلبح ،
تستيقظ غينا بفنعة كل الشاعر المتمازجة الخفية التي
جمعتها الادهار ، واضجعتها في اعق اغوار نفوسنا .

وقال ايضا :

وهو من اولئك الشعراء العظام الذين كانوا منذ
اجل زحوا ونحرا لكل بلاط (بغداد ودمشق وقرطبة ،
وابسبيلة وغرناطة) .

اولئك الشعراء الذين اذا كتبوا كانوا يغمسون
اقلامهم في حبر الخلود ..

ان شعر (ابن زيدون) واثاره وشخصيته انما هي
من صفوة الشعر الاندلسي ، ومن ثمرات نبوغه
وعبقيرته ، ومن سمات رجولته وحياته .

وكاني ارى (فيلاسبيا) قد غنى شعره وفنه بقوله :
« ما من ريشة في العالم اخرجت مثيلا لتلك الاسوان
المتناسقة في الشعر العربي وفنه ، شاء الله ان يجلو
بها كوامن الجبال فجاءت بدائع لا يقوى على استجلاتها
غير العيون التي تبصر في الظلمة ، والاذان التي تسمع
في الصمت » .

وللشعر العربي صلة بالابلاس ، فوق صلته بالهندسة
ذلك لعمري شعر نخل الشعاع سده ، والنسيم لمحمته .
وليس في الشعر العربي ما في الشعر الغربي من شلل
تعرض له في مختلف الازمنة والغرب مدين للعرب ببارق
ما في شعره واثاره .

ولو استثنينا الشعر الاندلسي لم نر تطورا غسي
الشعر العربي منذ عهد الجاهلية . فان شعراء الاندلس
لينوا اوزانه وتونوعوا قوافيه ، منطلقين من قيوده ذهباً

المحتاجين ، وهو مع هذا يحل في ذاته قلباً نابضاً بالقرّة وجناً مالكا للارادة ، وعقلا مشحونا بالتدبير والبقطة الى سنة وفاته ٤٣٥هـ - ١٠٤٣م . ولما مات خلفه ابنه ابو الوليد محمد بن جهور الذي سار بالقرطبيين سيرة ابيه في مساعدتهم ، وتبدير امورهم وصيانة امهم ، واستمر يصلح الاحوال ، ويوصل التقاطع بين امراء الطوائف الاندلسيين الذين وصفهم ابن سرف القيرواني بقوله :

**ما يزهدني في ارض اندلس
القاب مملكة في غير موضعها
كأهر يحكي انتفاخا صولة الاسد**

ويسير حكم (ال جهور) في قرطبة ما بين قوة وضعف حتى يقر ابو الوليد بن جهور ان يتسلم السلطة بين ولديه عبد الرحمن وعبد الملك ولما شعر جيرانه بشيخوخته ووجود تنافس بين ولديه هاجمه المامون بن ذي النون ملك طليطلة وحاصر قرطبة سنة ٤٦٢هـ - ١٠٧٠م .

فاضطر عبد الملك بن جهور وابوه لا زال حيا الى الاستنجاد بغيرهم ابن ذي النون وهو المعتد بن عباد ولم يرض على امارته بعد موت ابيه المعتضد عام ، الا وتوجه الى قرطبة بجيش ارغم ابن ذي النون على الانسحاب من قرطبة ودخلها ابن عباد منتصرا وسرعان ما غدر ببني جهور المستصرخين به كما يقول الدكتور الأستاذ محمود علي مكي . وما اكثر الغدر في العلاقات بين ملوك الطوائف ، فاستطحت حكمهم وازال دولتهم ، ونفاهم جميعا الى جزيرة شلطي .

وظلت قرطبة حتى سنة ٤٨٤هـ - ١٠٩١م بيد (ال عباد) حيث اذف المؤرخ ابن حيان الاندلسي تاريخا سباه (البطنة الكبرى) ارج فيه احدث سقوط آل جهور . ولقد كانت العاصمة الاسلامية الاندلسية (قرطبة) مباءة علم ، ومقام فضل ، وملجأ استقرار ، ان اراد ان يعيش بسعادة وطمانينة . واستطاع ابن زيدون وهو الشاعر البارز ، والسياسي الموهوب ، والسفير اللوذعي ان يحتفظ بصلات طيبة مع الطبقة البارزة من مفكري عصره ، ومؤرخي زمنه ، ويأتي في مقدمتهم (ابن حيان) الاندلسي صاحب (الفتبى) ٣٧٧هـ - ٤٦٦م ٩٦٧هـ - ١٠٧٦م الذي اصابه شر من ال جهور وغضبهم ، مثلما اصاب صديق اسرته (ابن زيدون) ، ومثلا حل بمعاصره العالم الاديب (ابن عبد البر) المتوفى سنة ٤٦٢هـ - ١٠٧١م - والذي طوحت به النواذب والفتن فمضى يجول بين شرق الاندلس الى غربها .

مع خالجة في الصدر ، او لاجة في النفس . وان الشعر الرائع الذي تغنى به الشعراء الاندلسيون والاسبانيون والعرب لهو واسطة العقد واصرة الروح بين الامم الشرقية والغربية .

ثم قال « وكان بالقرآن وحده قصيدة لا تجارى اختلط بها الحاجيات البشرية بالوحي الالهي . فكان له النصر المبين الذي يعود ما في مرأيه وسوره من فضيلة وقوة حقيقيين . وما في دفتيه من (بيان) عذب ساحر ينبس من صفحاته انجاس صافي الزلال من تلب الصخر القائم ؟ » وقال متابعاً قوله « ولم ينهيا للشعر العربي في كل الاقطار تربة اصلح من تربة الاندلس ، ولا زهاء في بلد من البلاد زهوته في هذا البلد . فاضت ارض الاندلس المبرغة بعلوم الاسلام وادابه التي عمت العالم ، وقامت النفوس التواقاة الى العرفان في اقاصي البلاد تبسرد شفاهاها الظمأ يترشف بتابعي الحب والسلام المنجرة في اشعر العربي (قرطبة وطليطلة واشبيلية وغرناطة) وانتقل ذلك الى (صقلية وبرونسا وايطاليا وبيزنطية) . » وختم قوله مشيدا بالنسب العربي في اسبانيا ، واداب الاندلس الاسلامية فقال « ليس في طاقتنا نحن الاندلسيين المعتنقين بايمان دين المسيحية ان نجد دين اسلافنا المسلمين . فثلث كان الاول دين ضايرنا فالثاني ما برح مصدر نتاج خيالنا القومي المزدان بيداع التصور . واننا على رغم ليلنا الحديث واهوائنا لآفة اسلافنا العرب ما نزال حدة اولئك البدو الذين تعودوا وحشة الصحراء ان يخالطوا الله وهم تعود ايام جياهم بسهم المنسوجة بشعر الابل » « كما اننا لو خدشنا بالاطناس بشرتنا الاوروبية الصفراء برز لنا من تحتها بشرة العرب السمراء » .

« ان (ابن زيدون) ولد وعاش ومات على دين الشعر الاسامي الذي هو دون سواه دين الارواح الحقيقي ، بل دين الجمال والطهارة « الحب ثالث الحياة الاقدس » .

عصر ابن زيدون :

كان عصر ابن زيدون عمرا تزدهم فيه الاحداث ازدهابا متراكبا ، فبعد ان ضعفت الخلافة الاموية ، وقامت ثورة البربر في بداية القرن الخامس الهجري وتقسمت البلاد طوائف وشيعا منذ سنة ٤٢٢هـ - ٣١٤م ظهرت امارة ال جهور في (قرطبة) بهمة رجل رصين عاقل متواضع لا تمهه المظاهر ولا تخدعه القشور وهو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور . وكان له الفضل والادب والجاه والخلق ومحبة الناس . باته لم يجعل له وبين طبقات الشعب القرطبي من موانع وسدود ، يواسي الضعفاء ويوزر المرضى ، ويتفقد المعوزين ، ويسال عن

ثقافة ابن زيدون :

كانت ثقافة ابن زيدون عالية المقام ، قوية المنبت ، واسعة الاطلاع ، تزخر بالعلوم والفنون والاداب ، استثمرت على التاريخ العربي والاسلامي القديم ، واثار الجاهليين ، واثار العرب ، وحفظ القرآن الكريم ، ومعرفة الحديث الشريف ، ادب واسع ، وبداهة فني القول ، وسرعة في الخاطر ، وفي النصوص التي نراها في شعره ، وفي رسالتيه (الجدية والزهلية) التي ارسل الاولى وهو في سجنه الى ابن جهور ، وارسل الثانية على لسان ولادة الى خصمه ومزاحمه في حبها الوزير ابن عبدوس . ان هاتين الرسالتين تمثلان الحسرة المتكاملة لخصمته العلمية ولثقافته الادبية . حتى وصفه ابو مروان ابن حبان ، بقوله : « فتى الادب » ، وعبد الله الطوف الشاعر البديع الوصف والوصف ، ابي الوليد احمد بن زيدون ذي الابوة النبيلة بقرطبة ، والوسيلة والدرية وحلاوة المنظوم وقوة المعارضة والامتنان في المعرفة . وقال (ابن بسام) في اخبرته عنه . قلت : فلما سعة ذرعه ، وتدفق طبعه ، وغزارة بياته ، ورقة حاشيته لسانه ، فالصبح الذي لا يتكر ولا يرد ، والرمال الذي لا يحصر ولا يعد .

اخبرني من لا ادفع خبره من وزراء اشبيلية قال لعبدى بابي الوليد قائما على جنازة بعض حرمه ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب رجلا منهم بما اجاب به اخر لحضور جنازة وسعة ميلاته . وتابع (ابن بسام) قوله : وقد اخرجت من اشعاره التي هي حجول وغرر ، ونوادير اخباره التي هي مائر وائر ، ورسائله التي اخرجت السنة الحفل ، واستوفت امد المنطق الجزل ، ما يسر الاداب ويصورها ويستكشف الالباب ويستطيرها .

ايها الاخوة الامجاد :

علينا اذا اردنا ان نقيم (ابن زيدون) وشعره ورسائله ، ونرسم صورته الواضحة في ان نعود لدراسة ما خلفه لنا من تراث شعري ، ونثري . له صلة بحياة الاندلس واوضاعها الاجتماعية والسياسية ، وثقافتها اللغوية واثارها التي كانت زاهية زاهرة فبضى عليها الحدثان وجار عليها الزمان .

علينا ان نجعل من شعره الواحا زينة جميلة ، تصور الفن الاندلسي المعماري والهندسي ، حيث نجد نسي قصائده صورة (الزهراء) وهي شامخة عالية ، ومنمعة (الرصانة) وهي زاهرة عابقة ، والخلافة والامارة في قرطبة واشبيلية وهي جذلانة فرحة او حزينة موحشة . وبعد كل هذا نستطيع ان نتعرف على (ابن زيدون) وميزاته الفنية والادبية . وما امتاز به عن بقية شعراء الاندلس في عصره وقبل عصره وبعده .

ابن زيدون واهتمامه القدامى به :

كان القدامى من معاصريه ، ومن الذين جاءوا بعده يقدرونه حق قدره ، وينظرون اليه ولشعرهم موضع الاجلال والاحترام . ويجعلون من شخصه واسطة للخير . وتقربا للمعروف وهذا صديقه (ابن عمار) الشاعر العائز الخط قد طارحه بقصائد ، واتصل به تقريبا للملك الطوائف فقال يخاطب (ابن زيدون) من قصيدة :

تأملت منك البدر في ليلة الخطب
ونلت لديك الخصب في زمن الجذب

وجردت من محروس جاك مرهقا

تولت به خيل الحوادث عن حرب

وقال ايضا في قصيدة اخرى :

يا برق اد رسالتي

تفديك نفسي من رسول

فاذا اجتلاك ابو الوليد

بنظر اليقظ النبيل

فاقرأه من قلبي سلاسا

يقضي حسن القبول

يا انس بدر في الظلام

وبرد ظل في المقيـل

يا غرة الزمن البهيم

وعزة الادب الخليل

ومحكم القليم القصير

على ثبا الرمح الطويل

وكان (ابن زيدون) منزلة في اوساط الادباء في

زمنه وبعد وفاته . قال عنه (ابن بسام) وقد جعله

(بحرئ المغرب) بقوله :

« يقول بعض ادبائنا ان ابن زيدون بحرئ زماننا

وصدقوا لانه حذا حذو الوليد في قصائده » .

وقال (ابن خاقان) في قلانده عنه :

« أرفه بدائنه وروائعه ، وقد اثبت في سراحه

واعتقاله ، ومغايه وانتقاله ، ما هو ارق من التسميم ،

واشرق من المحيا الوسيم » .

وذكر بعض الادباء القدامى « من لبس البياض ،

وتختم بالمعتيق ، ونفقه للشاعري وروى شعر ابن زيدون

فقد استكمل الطرف » .

وكان لابن زيدون مطارحات ، ومعارضات ،

ورسائل بينه وبين حبيبه وعارفي قدره نظها مرة معانيها

واخرى مداعبا . ومن قرأ (ديوانه) وجد العديد منها .

امثال قصائده وابيائه الى : —

المعتد بن عباد ، وابي عبدالله بن الفلاس ، وابي

العباس بن ابي حاتم بن ذكوان ، وابي القاسم بن رفق ،

وابي الطالبي بن مكي ، وابي بكر بن الطيب ، وابي

عبدالله بن عبد العزيز ، وابي علي بن جبلة ، وابي

- ٢ - في الشعر العربي الحديث .
٣ - في الادب والقصة والمقالة والرحلة .

وقبل ان نسعرض صورة ابن زيدون في تاريخ الادب العربي الحديث علينا ان نمر بلحات خاطفة على التراث الاندلسي ، الذي كان مغبورا ومطبورا في خزائن الكتب اشرقية والغربية والاوربية . الى ان قامت حركة البقطة العلمية التي احياها المستشرقون ومنهم في حقل الاندلسيات يأتي (رنهارت روزي) الذي قام بنشر وترجمة نفح الطيب ١٨٥٥ - ١٨٦١م ووضع الدراسات عن ملوك الطوائف وبني عباد ، وتاريخ المسلمين في اسبانيا وغيرها من المؤلفات . ثم تابعت من بعده حركة الاشتراق الاسباني بشخصية (فرنسيسكو كديره) ، الذي نشر وصحفة المكتبة الاندلسية بين ١٨٨٢ - ١٨٩٤م ، وتبعه اسين بلاسيوس بدراساته الصوفية ، وخوليان ريرا بدراساته الموسيقية وغوثالت بلانجا بدراساته العلمية . واميلو غرسيا غومز بمؤلفاته الادبية والشعرية . وخوسه ماريا مياس بابحاثه ومؤلفاته اللغوية وتابعهم وسار على خطاهم المستشرقون الفرنسيون وعلى راسهم بروفنسال وهنري بيريس والمستشرق السباق لدراسات ابن زيدون اوجست كور سنة ١٩٢٠ ومن الالماني - كارل بروكلمان في تاريخ الادب العربي سنة ١٩٢٣ . ونيكل البوهيمي سنة ١٩٤٦ وغير هؤلاء .

والغريب الطريف : ان المطابع العربية لم تنشر لاول مرة في مطابعها الشرقية كتاب (نفح الطيب) وهو الذخيرة الاندلسية الغنية بمادتها . الا بعد ان كتم ونشر في (لين) بهولنده بسنة واحدة من انجاز طبعه حيث طبع ببولاق سنة ١٢٧٩هـ المصادف ١٨٦٢م . ومن بعد هؤلاء العلماء تابعت دراسات الاساتذة المشاركة والمغاربة . وكان (جرجي زيدان) من اولئك من درس (ابن زيدون) في كتابه (تاريخ الاداب العربية) سنة ١٩١١ . ولم تتجاوز دراسته له عن صفحة واحدة . وليس فيها من جديد سوى الاشارة الى طبعات رسائله في المانيا ، والاساتنة ، وممر والاشارة الى بعض مضان شعره . وتلاحقت مؤلفات تاريخ الادب العربي ، ومحاضرات المرحوم الدكتور احمد ضيف ، والمرحوم كامل كيلاني التي ترجمها عن نيكلسون ومؤلفات الاساتذة الدكتور المرحوم احمد امين والاساتذ المرحوم احمد حسن الزيات والمرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي .

والاساتذة علي الجارم ، واحمد الاسكندري ، وعبد العزيز البشري ، وهؤلاء اصحاب (الجمل) في تاريخ الادب العربي ، و (الفصل) في تاريخ الادب

عامر بن مسلمة ، وابي بكر بن النعميرة ، وهم بين امير ، ووزير ، وكاتب ، واديب ، ومن الامثلة الشعرية على ذلك ما جاء في ديوانه . ونقل منه ابن بسام في الذخيرة قال (المعتمد بن عباد) يخاطب (ابن زيدون) .

ايها الفائق اهل العصر

في مرآى ومخبر

لك آراء متى نهسد

الى الاعضاء نظفهم

نظم در يستين القلب

متى ينظم وينشر

وقال فيه ايضا والخطاب الى ابن زيدون : -

يا خير من يلحظه ناظري

شهادة ماشابها زور

ومن اذا ما ليل خطب دجا

لاح به من رايه نور

رايك اما شمته صارم

عضب على الاعداء مشهور

شعر هو السحر فلا تنكروا

اني به ما عشت مسحور

واللفظ والمقرطاس ان شيها

قل هما مسك وكافور

قصر في نظمي فاعذر فمن

ضاهك في التقصير معذور

فانت ان تنظم وتنثر فعد

اعوز منظوم ومنثور

وكفى بشهادة الامير الشاعر الذواقة الناقد

(المعتمد بن عباد) بابن زيدون من شهادة لا ترد .

● ● ● صورة ابن زيدون في العصر الحديث :

اما اصحاب الاعلام في ادبنا الحديث ، منذ عصر نهضتنا المعاصرة ، الذين كتبوا عنه ودرسوه والفرافيه ، فهم ينقسمون الى طبقتين : -

طبقة قلدت القدامي بها قالوه عن ابن زيدون ولم يزيدوا عليهم شيئا . وجاروهم في الخطا والصحيح . وطبقة درست (ابن زيدون) دراسة منهجية اوضحت فيها جوانب من حياته الخاصة والعامة وبينت خصائص ادبه ومميزاته . واثار (ولادة) في نفسه ، وشعره ونثره ، وتأثير اسجن الذي قضى فيه عامين على مستقبله ، وطموحه ، وصحنه ، والقدرات السياسية التي خاضها ، وساهم في احدثها ، وما خلفته جميعها من اثار على منه وادبه ، ومستقبله .

وفي سبيل ان نقرب الصورة الزيدونية لحضرات المستعتمين قسناها الى الاطارات الالية :

- ١ - في تاريخ الادب العربي الحديث .

العربي ، و (المنتخب) من تاريخ الأدب للعرب . وكانت حصة ابن زيدون في المجلد لا تتجاوز الثلاثة أسطر فقط .

وفي تاريخ الأدب العربي للإستاذة أحمد الإسكندري وجماعته في الجزء الثالث ص/ ١٠٥ والمفصل الجزء الثاني في تاريخ الأدب العربي ص/ ١٥٠ قال الأستاذ انفسهم عن ابن زيدون « ولكن ابن زيدون لم يأمن ابن جهور على نفسه فهاجر الى اشبيلية واتصل (بالمعتد بن عباد) ، وصار وزيراً له . وبقي هناك الى ان مات سنة ٤٤١ هـ » . وقد تصورت ان هذا من اخطاء للمطابع . ولكنني وجدت ان الأستاذة الاغسل في هذين المرجعين لم يضبطوا تاريخ وفاة هذا الشاعر . ولما الفوا كتاب الجمل ، واشرف معهم الدكتور طه حسين على طبعه جعلوا وفاته سنة ٤٦٣ هـ وهو الواقع . ومن الدراسات التي اولت ابن زيدون العناية العلمية ، والتحليل النافع في مؤلفات (تاريخ الادب الاندلسي) تبرز دراسات الأستاذ الدكتور احسان عباس والأستاذ الدكتور صلاح خالص والأستاذ الدكتور ممدوح حتى ، والأستاذ مارون عبود والأستاذ نعيم الحصري وغيرهم . ومن جميل ما اشار عنه الدكتور جودة الركابي في مؤلفه عن ابن زيدون قوله :

« على انه من الخير لنا ان نبحث عن عبقرية ابن زيدون الا في شعره الذاتي الذي عبر فيه عن هواجس قلبه وعما جاش فيه من لواعج الحب والألم . ففي هذا الشعر خضع لشرطه الأوحداً الا وهو الاسفاه لحديث النفس وهيبات الفؤاد . ثم جاءت اللفاظ والأوزان والصور دون كد ، عفو البديهة والخاطر . »

واحسن ما في دراسة الدكتور الركابي هو التحليل الأدبي لقصيدة (ابن زيدون) التونية واقسامها ومعانيها .

اما الأستاذ الكاتب صاحب (الرسالة) المرحوم احمد حسن الزيات ومؤلف تاريخ الأدب اعرابي . فقد ترجم (ابن زيدون) بترجمة قصيرة يعوزها النقد الموضوعي ، والتحليل العلمي ومما قاله عن نثر الشاعر لابن زيدون نثر اتيق رفيق النسخ ، تليل التكلف والسجع ، كثير الأزدواج والإطناب ، شديد التشبه بطريقة (الجاحظ) ولا سيما في التنوع بحروف الجر ، وله من طريقة ابن العميد تضمين الامثال والملح . » . وهذا كلام سبق قوله من القوامي ويعوض المحدثين .



ويتبع هؤلاء الأستاذ الخفاجي في قصته الأدب في الاندلس والأستاذ ابراهيم ابو الخشب في تاريخ الأدب العربي في الاندلس وغيرهم . . .

صورة ابن زيدون في المؤلفات الخاصة به : —

صدرت مؤلفات باسم ابن زيدون في العالم العربي والغربي . ولسنا الا في معرض الحديث عن عالم الغرب والاستشراق . ولكن الذي يناسب المقام الان والحديث ، هو ما ألفه الأستاذ العرب في عصر النهضة الحديثة .

ويأتي في مقدمتهم المرحوم (شيخ العروبة) احمد زكي باشا حيث نشر لأول مرة دراسته (ابن زيدون) او صفحته في مجال الآس في ليالي الاندلس سنة ١٩١٤ .

وهي في الاصل محاضرة القاها في الاسكندرية . وطابع المعاطفة واستشارة الشاعر بداية عليها . ومما جاء فيها : « قلبي باندلس موله ، وعقلي بأطلاله موله ، وهيملي بأهليه حديث قديم ، وغرامى بساكنيته مقعد مقيم . » وقد بين في هذه الدراسة الصغيرة اهتمامه بأدب الاندلس ، واطهار عبقريته ابن زيدون ، وحبه لولادة وتربية شعره ، ثم رد المرحوم شيخ العروبة على من انكر فضل العرب وعبقريتهم من دعاة الغربيين . وتلح هذه الدراسة من حيث الاهتمام بابن زيدون رسالة الماجستير للأستاذ الفاضل الشاعر علي عبد المعطيس الذي سار مع ابن زيدون — ودرس عصره ، وحياته ، وأدبه — وهو الأستاذ (الدرعي) الذي واثقه أغنية اللغة ، واهتمه بحسن البيان ، واسبغت عليه طول النفس . وجاءت في ثلاثة ابواب وعدة فصول وأبرزها يأتي الفصل الاول من الباب الثاني من حياة ابن زيدون ومهد الطفولة ، والفصل الخامس من الباب الثالث الفصل فيه عن مكانته الأدبية ، ومزنته بين الشعراء ، وطابع الاصاله والتقليد لديه . كما نشر وحقق مع دراسته لطيفة (ديوان ابن زيدون) .

واعتقد ان اغلب من كتبوا عن (ابن زيدون) وحلوا شخصيته او ارخواه او نقدوه من المعاصرين رجعوا الى دراسة الأستاذ علي عبد العظيم اذ كانوا لم يخفوا الحقائق ويقولوا الامر مجرد .

ومن الاساندة الاجلة الذين وضعوا دراسة مستقلة عن (ابن زيدون) هو الأستاذ الدكتور الباحث (شوقي صيف) ودراسته مع قصرها . وتحليلها المقنع : تكشف بعض الجوانب الهامة عن حياة الشاعر الاربعة . وبالاخص في الفصلين اللذين عقدهما عن النشأة والمربي — وعن شاعريته . ومما قاله الدكتور (شوقي صيف) عنه :

« يقع ابن زيدون في الذروة بين شعراء الاندلس من حيث ملكات التعبير الأدبي وما صاحبها من ابداع فني . »



عملية الصورة السوداء

بقلم: فيصل عبدالحسين حاتم

قصة
قصيرة

<http://ArchiveBeta.Sakhr.com>

« وطبعي لهذا الشاعر الذي اختبر أوتار القيثارة العربية دون ان يشهد تأثره بمن سبقوه وان يستعيد منهم في الحين بعد الحين ، وخاصة ان هذا الصنيع كان ضريبة مفروضة على الشعراء الذين تقدموه جميعا لا عند المغفورين منهم ، بل عند انفاذهم ممن سميناهم . »
ومن ابرز الدراسات الرصينة التي ابرزت (ابن زيدون) صاحب (الروائع) ودائرة المعارف الذي اصدر (عديدين) من روايته عن (ابن زيدون) جعل الاول عن حياته ونشأته - ومختبرات شعرية - وخص الثاني تحدث فيه عن الرسائلتين ومقطعات شتى وعن حياة الشاعر في المعترك السياسي وعن اثارة وتأخذه . ومما قاله عنه : « من اشهر ادباء الاندلس ، واظرف شخصياته . جمع بين الشعر وانثر في حسن تصرف وناقصة ، الى دهش في التدبير ، ومرونة في السياسة . . ويبدو ان (ابن زيدون) من ابرع شعراء العرب في اثارة الذكريات ، واستحياء اعيانها ومشاهدتها باعنا في موضوعاتها حياة جديدة . مستعيدا الانس بها ، والتمتع بلذاتها الغابرة . ذاهلا في غفلة الزمن عن حاضره المؤلم ، حتى اذا ابتقله الواقع ، عيى الى المقابلة بين المهدين . . . فهو من اعيق شعراء التفكير بلا خلاف . وهم قلة في ادبنا الوافر الغزل والنسيب .

وتالت الدراسات الاخرى عن (ابن زيدون) ونشر الى بعضها : كدراسة الاستاذ (نهاد رفعت عناية) الدمشقي ، التي اصدرها في بداية الضرب العالمية الثانية ، وهي مسرعة الخطوات ، مختصرة البحث ، ودراسة الاستاذ نديم المرعشلي ، وهي لم تأت بشيء جديد ذي بال . ودراسة الاستاذ وليسم الخازن عن (ابن زيدون) واثار ولادة في حياته وادبه . والدراسة كما يبدو للقاريء جديدة طريفة لطيفة ، وتبدو طرافتها في بحث صاحبها عن ولادة واثرها في غزل ابن زيدون ، وعتابه ، ومدحه ، ووصف الطبيعة واخوانياته ، ونثره .

دقائق ، ثواني ، اجزاء اخرى زمنية ، تتواكب مثل اشياء صغيرة حية ، بانحة شفافة ، بين الاشياء الصنعة ، هيكل سيارات متاكلة ، وقضبان صنعة ، وصفائح منخورة واطارات خارجية متمفنة ، وزجاج قد تحول الى شظايا ، مغروز في الوحل مثل خناجر حادة ، الوحل كان له لون دهون السيارات ورائحتها ، مثل مقبرة واسعة ، مثل عالم مزقته حرب



بربرية ، وتحت احد الهياكل ، كان
خيط من الدم ، دم بشري لزج ، امتزج
بأزويوت ، وهذه الشمس تدخل
الهياكل المنخورة ، وتضئ خيط الدم ،
تجعله اكثر عتمة ، من باقي الاشياء
الحيطه به .

عند كل صباح ، حينما تتسلل
خيوط الشمس الاولى ، من بين
الابواب المنخورة والدائد الصدئة ،
ينجم عدد من الكلاب ، الهزيلة ،
الموحلة بأذنان معقوفة بين قوائمها
الخلفية ، وتنتقل خارج « خرابه
الحديد المستعمل » صوب شوارع
المدينه الضيقه ، وتقف هكذا
كالمشوده ، امام المطاعم ، او
بالقرب من صناديق المقاهي ، ولكن
في هذا الصباح ، اخذت تتبع خيط
الدم ، الذي ينطلق من بين هياكل
السيارات ويدور في طرق ملوئه ،
فوق انابيب الحديد المجوفه ، مخترقا
« انصاف السواد » ميمسا « في بعض
المناطق . تضع الخط السدودي ،
تتوقف وتدور حول المنطقه ، وتنبسج
بوحشية ونهر ذبولها باستمرار .

عند المكان المهدم من السور الذي
يحيط بالحديد المستعمل ، وقف شاب
يحمل بيده آلة تصوير سينمائية ، كان
مرتددا في الدخول ، وارسمت في
عينيه اشياء الساحه الواسعه ،
اكوام الحديد كالنول ، والمستنقعات
المائيه ، ولكنه دخل ، التي نظره
شامله على المكان ، ثم بدأ يصور
المكان .

« اكوام النفايات ، بشر وهميون ،
ينتقلون بين هذه الخرائب ، ينتفسون ،
ياكلون من النفايات ، وتأكلهم النفايات
بطيء ، تهضمهم ، وتلقى بالبقية ،
ترابا اسود مثل وحل مخلوط بالازيت ،
كانت الاشياء تطفو فوق العدسة
قبل ان تطلع فوق اللوح الحساس ،
كان فوق العدسة ، وجه
امراه ذاهل ، وجه فوزه كدمات
وبقع دم متبیس وصرخة خائفه ، مته
فوق الثغر الذي فقد الحياه ، وجه

امراه مثل اله مصلوب ، مثل شجرة
مقطوعه ، مثل معبد مهدم ، ينعكس
هذا الوجه فوق اللوح الحساس ،
فوق اللوح يصرخ الوجه صرخه
مرعبه ، تهرز اكوام العفن ، وتسقط
الاشياء الهائله المتراكبه فوق بعضها ،
وترجع الجدران المهديه ، التي تحيط
(بالخرابه) وتكاد ان تسقط لولا
المساند الحديدية الصدئة التي وضعت
لتنسد الجدران من الخارج والداخل ،
وتنتقل العدسة البلورية ببطء صوب
جزء اخر من المكان ، بين وقت وآخر ،
يجي رجال ، الى هذا المكان ،
بحماس ، يعملون ، ويرتبون اجزاء
الحديد ، ويجهونها بأشكال هندسيه
ويتكلمون فيما بينهم عن مدارس سيتم
بناؤها ، وعن مصانع جديده سوف
ينقل اليها هذا الحديد المستعمل ،
ولكن تبقى هكذا الدائد المنخوره ،
مرميه بأشكال مختلفه ، وبعد مدده
ينقطع مجيء الرجال ، كانوا سجنوا
اوربا شفقوا في ساجات عابيه ،
وعيونهم موجهه صوب الاشياء
الدائمه فوق هذه الساحه الواسعه .

ولكن لا ينقطع مجيء الرجال ، ولكنهم
لا يفعلون شيئا سوى انهم يعيدون
ترتيب الاشياء النافله ، ويتكلمون عن
اشياء رائعه والعيون التي تثبت في
الحديد ، تقرب كل شيء ، وتتمنى ان
يحقق الرجال ما يقولون ، ولكنها
سرعا ما تسمى ، حينما ينقطع مجيء
الرجال من جديد ، العدسة الضيقه
تنتقل ببطء شديد ، وتسجل بدقه
انحرافات الضوء ، والاجزاء الحاده
من الحديد ، والمناطق المظلمه ،
وتسجل حركة الديدان الصغيره
البيضاء المفضلله التي تنتقل بحريه
فوق الدائد . وتقلب على ظهورها
متشمسه بضوء الشمس ثم تسقط من
فوق الحديد في مستنقعات الماء ، ثم
ترحف بتعقب الى بيوتها الغرابيه تحت
كل الحديد والفضلات .

اوقف الشاب آلة التصوير عن
العمل ، وبدأ يصعد نلا من الركاب

ليستطيع ان يسجل ما هو موجود
بأباته ، وحينما صعد فوق التل ،
استطاع ان يرى مجموعه الكلاب ،
التي تتبع خيط الدم ، ثم بدأ يسجل
من جديد ، ولكنه لم يستطع ان يشاهد
النشريط الضخم الذي كان يقصف
بالقرب من جدار « خرابه الحديد
المستعمل » يراقبه ، ويرقب العدسة
التي تسجل كل شيء بدقه ، عشرات
الشعارات المسجحه ، تطفو فوق
« الجينكو » وتنتشر فوق الارض
الاف الخطبات الطويله التي تنامي
وجه المرأة المذول الصارخ لكن
ايا من هذه الحوارات الطويله لم
تدأ هذه الكدمات التي تغطي
الوجه ، او تفتح هاتين العينين ، او
تسمح بقع الدم المتبسيه فوق الفودين
المصوصين . اخذت العدسة تراقب
سلوك الكلاب ، كانتا تتبع العدس
خيط الدم ، وبالقرب من الجدار
اسفل هيكل سيارة متاكل ، كانت جفنه
بشريه . اوقف الشاب آلة التصوير
وبدا يهبط من فوق تل الحديد ، بينما
كانت عينان بشريتان تراقبانه ، عينان
يقدح فيهما غضب وحشي .

عندما تغفو المدينه ، تنبع الكلاب .
وجه امراه يغزو الكون ، وجه اصفر
يبقع داكنه تحت العينين . زورق
صغير مهدم ، قبر صغير في مقبره
متواضعه ، تنمو صرخه ، ثم ثانيه ،
يبدأ كل شيء . يا نالده الاشياء
الصغيره التي تقال بهمس ؟ يا غائده
صورة كبيره ، بحجم السماء ، لوجه
امراه ذاهله في « خرابه حديد
مستعمل » الشمس تندلق من بين
انفجوات ، مثل شراب مهرب .

هنا خصله شعر آدميه ، هنا فوق
الحديد ، لمسه يداه ، فوق الحديد ،
كف دم مطبوع صرختها الاخيره لم تزل
تهز الحديد . وتنبو بين ذراته
الملاصقه . اله مذبوب ابتسامة ميتة .
صوت واطي مجوح . صدر ضيق .
صدر امراه فيه احلام ، عن اشياء
عجيبه وفي كل صباح وجه جديد ،

وصرخة أخرى .

الة التصوير تسجل من جديد :
« بركة الدم ، اليد المتيبسة »
الفتوحة ، السائل الأصفر المتجدد
حول منطقة البطن والذي يسيل من
حول طلعنة غامقة يتجمع حولها
الذباب الملون المتوحش ، العينان
اللذان تحمقان بالمعدسة ، صوت عزف
موسيقى غاضبة ، ربما تجيء من
مكان قريب او ربما تعزفها كائنات غير
ارضية ، تتخلل كل شيء ، كأنها هي
ترديد لصرخة ما . « تراجع الشاب
الى الوراء ، بينما كانت الكلاب تدور
حول الجثة بجنون . حينها وصل
الى الجزء المهدوم ، من الجدار برز له
الشرطي الضخم ، ويديه عصاه ، قال
له وجهه يتوتر : —
— الا تعرف ان التصوير هنا
ممنوع ؟

لم يجب الشاب بشيء .
— اعطني الة التصوير .
هز الشاب راسه ، سلبا ، وابتعد
خطوات عن الشرطي .
— قلت لك اعطني الة التصوير .
ولكن الشاب ركض بالاتجاه الآخر ،
اخرج الشرطي « صافره » وبدأ
صوتها العالي يحتل المسافات بين
الحديد ، وتردده جدران « خرابة
الحديد المستعمل » اخذ بركض وراءه ،
بين الحديد الصديء ، وحول هياكل
السيارات ، بينما كانت الشمس
تصهل ، خلف قطعان السحب ،
ومزيد من الدم البشري يتخثر .

يواصل عبد الحسن حاجم



ملامح جديدة للوجه المظلم

بسم
هلسنة
السواحري

١ - النهاية

فركت خاتمي
فركت خاتمي السحري
لكلها الجني لم يعد
ومارد الدخان ما اتى
وانت يا مولاي قاهر الزمان
اعرتني قنطار قمح
وقلت لي / تكون ميتا ،
تكون ميتا ، ان لم ترده قبيل الصبح
وقد اتى الصباح
وها انا يا سيدي السلطان
انا الذي انتظرت مارد الدخان
(او انني كالنمل آه

كالنمل ياكل الفلال في المخازن المبعثرة

اواه يا مولاي

فصول هذا العام كانت مقفرة

من اين لي قنطار قمح ؟؟)

٢ - آخر ما قال خالد بن الوليد

قضيت في الحروب ما قضيت

وليس في موضع ، من غير جرح

من ضربة بسيف

او رشقة بسهم

او طعنة برمح

وها انا ملقى على السرير

الباب موصد علي ، بينما يا حلوتي هفاوز الزمان

وغزه تدنثر بغربة الوطن

نادت علي لم ارد

نادت علي لم ارد

ومت ميتة البعير

مع الحركة الشعرية المغربية

الشاعر

حسن الأمrani

أجرى المقابلة
أحمد المصالح

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بطاقة
تعريف
بالشاعر

الحركة الشعرية المغربية المعاصرة حركة فنية لم تتعد السنة عشر ربعا من عمرها الزمني ، لذا لا نستغرب منها ان تكون انطوائية عبثية أحيانا ، ورافضة متبردة أحيانا أخرى . ولكن وعلى الرغم من ذلك ، فلا احد يستطيع ان ينكر عليها طموحها وأصرارها على تجاوز ذاتها باستمرار .

وكلفتنا أكثر من هذه الحركة ، بغية الوقوف على تطورهما من جهة ، ونمط تفكيرها الشعري من جهة أخرى ، كان هذا اللقاء مع واحد من اعلامها البارزين . انه الشاعر حسن الامrani .

س : ماذا عن بدايات اهتمامك الشعرية : طبيعتها ومؤثراتها ؟

ج : بدا اهتمامي بالشعر قراءة وكتابة في بداية الستينات بالاطلاع على الشعر القديم ، ثم نما هذا الاهتمام بصورة أوضح بقراءة ابن الفارض وأبي نواس والشابي أما الشعر الحديث فلم اتعامل معه الا في

- ١ - حسن الامrani من مواليد ١٩٤٩ وجدة - المغرب .
- ٢ - يجمل ليسانس في اللغة العربية وادابها ويعمل استاذاً للغة العربية في المرحلة الثانوية لدى وزارة التربية والتعليم المغربية .
- ٣ - أصدر حتى الان ثلاث مجموعات شعرية هي :
 - ١ - الحزن يزهر مرتين ١٩٧٤ مطبعة النهضة - فاس - المغرب .
 - ٢ - البريد يصل غدا (مشترك) ١٩٧٥ مطبعة بو زيد الدار البيضاء - المغرب .
 - ٣ - مزامير ١٩٧٥ السلسلة الشعرية وجدة - المغرب .

الاعوام الخمسة الاخيرة من الستينات حيث كان انتقالي الى الجامعة بفاس وبالتحديد سنة ١٩٦٨ . وهنا يمكن اتقول بأن نقطة تحول بدأت في حياتي الادبية حيث تمكنت في هذه المرحلة من اكتشاف عوالم جديدة والتعرف على اجواء لم اكن اعرفها في الحياة الادبية . التقيت ببعض الشعراء الشباب الذين كنت قد قرأت لهم دواوين مستقلة . فبدأت اطمح الى النشر بعد ان توفرت لي مادة شعرية وفيرة . وفعلًا بدأت انشر قصائدي في مجلة (الاختيار) وفي مجلة (اقلام) المغربيتين . كما بدأت ايضا التعامل مع البرنامج الادبي في الاذاعة المغربية (حقيبة الاربعة) ، حيث تداع بعض قصائدي . ان طويحي — كما قلت — مكنتني من الاشتراك في مهرجان ادبي للشباب اقيم في تونس عام ١٩٧٠ م ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي اخرج بها خارج المغرب للاشتراك في مهرجان ادبي . وبعدها تبنت اقدامي في ميدان الشعر ، ولا ازال ...

س : قلت بانك تأثرت بالشعر القديم وبشعر ابي القاسم الشابي وابن الفارض وابي نواس . فهل كان هؤلاء من اثر على كتابتك الشعرية شكلا ومضمونا ؟
ج : لقد بدأت كتابة الشعر بالشكل القديم ، اتبناه واكتب فيه وادافع عنه الى درجة رفض الشكل الحديث . ولكن كنت في نفس الوقت اؤمن باكائنيات التجديد عن طريق المضمون . الا ان هذه العملية ظهرت لي فيما بعد مجانية ، اذ كان الشكل القديم يرفض علي مضامين قديمة ، ولم يسعفني كثيرا في تحقيق الرؤيا التي كنت اطمح اليها ، لذا تحولت عنه الى الشكل الحديث وما ازال اكتب فيه حتى الان .

س : وماذا عن مفهوم الشعر لديك ؟

ج : الشعر نبض العالم — يوم يفتني الشعر من العالم ينتهي انسانية الانسان ، الشعر حلم والحلم اخصب المراحل التي تحتوي الشاعر . ان الشاعر في سفر دائم ، والسفر معاناة وعذاب . عذاب الشاعر يكمن في نفسه وفي مجتمعه . غذابه في نفسه ناتج عن سعيه للتوفيق بين ذاته كشاعر مطالب بالندخول الى المجهول ، والكشف عن عوالم الخصب والاشراق وبين ذاته ككرد في المجتمع محاصر بمجموعة من القيود . وعذابه في مجتمعه ناتج عن سعيه لحمل معادلة صراعه مع ذاته التي هي هو وبين العالم الذي هو الاخر . ان الشعر العربي يشق طريقه نحو المعاصرة باحثا عن العالمية ، ومن هنا يتولد في نفس الشاعر صراع جديد هو الصراع بين التراث والمعاصرة . وارى

انه صراع طبيعي ، ففي الصراع تكمن شرارة التحول . ان الشاعر مرتبط بالتراث لا من موقف الرفض او القبول ولكن من موقف التساؤل . فالرفض المطلق معناه الاشراق ولكنه الاشراق المحاصر بالحظة الزمنية وطموح الشاعر ان يكون اشراقه مستمرا متجددا لا آتيا . والقول المطلق معناه الوقوف عند شكل معين من اشكال التعبير والاستحالة الى مومياء مخطئة ، وهذا معناه الموت .

س : اعتقد بانك بدأت تقرب من وظيفة الشعر . ما رأيك ؟

ج : نعم — ولكن يجب ان لا يغيب عن البال ان مفهوم اشعر ووظيفته ليسا طرفين متباعدين . انهما شيء واحد الا وهو الشعر .

س : انن اسمع لي ان اطرير السؤال بحيث يصبح : ما هي وظيفة الشعر انطلاقا من مفهومك العام للشعر ودوره ؟

ج : اكمل ما كنت قد بدأت به حول المعاصرة . اتقول : ان الشاعر محكوم عليه بالمعاصرة اذا اراد ان يظل وجوده شرعيا في مملكة الشعر . والمعاصرة لا تتعلق بالشكل وحده ولا بالمضمون وحده ، وانما هي نابعة من العلاقة الجدلية القائمة بين الشكل والمضمون . هذه المعاصرة لا تعني التمتع عن الواقع ولكنها تعني تطوير هذا الواقع وتغييره من خلال ذات الشاعر ومن خلال الآخرين . ولعل هذه المهمة تختلف حسب العصور . فمثلا الشاعر القديم كان شاهدا على العالم . يسجل ما يراه ويعمل — من حيث لا يدري او يدري — على تثبيت ما هو قائم . ان الشاعر المعاصر ليس شاهدا فحسب بل انه يدخل اللعبة لا لتزكية ما هو قائم بل لتغييره .

س : افهم من كلامك بانك ترفض نظرية الشعر للشعر ، بل انك تصرح بان الشعر للحياة والمجتمع . ومعنى ذلك انك تراه بالانترام . والسؤال الان . كيف توفق بين وظيفة الشعر كما ذكرت وبين هذه التلاسم السمة شعرا على صدر الصفحات الادبية في الجرائد والمجلات ؟

ج : اعتقد بانك تعني ما تنشره مساهمنا الادبية المغربية . وعلى اية حال . ان طريق الالتزام يطرح جملة من المشاكل اهمها وضعية القاريء ، ان القاريء المغربي تعود على التعامل مع الشعر بتقديم بوجه الاجمال . ولذا فهو يفت مشدوها امام الشعر الجديد ، وقد يرميه بالعمم اذا هو لم يستطع ان يسير اغواره

للحركة الثقافية العربية . ان لوركا مثلاً لم يشتهر اسبانيا ولكن لان رائحة غرناطة تعبق من أشعاره . أما فيما عدا ذلك غانا من المؤمنين بأن الشعر في المغرب او في المشرق هو شعر واحد وهو الشعر العربي الواحد . ولذا غانا من الداعين الى كسر كل الحواجز الزجاجية الفاتنة الآن بين اقطار الوطن العربي بحيث يتحقق التواصل الثقافي والحضاري الشامل بين هذه الاقطار .

س : قلت بأن الشعر المغربي بدأ يجد نفسه ويعبر عن همومه ، فهل تسمح لي ان استفسر عن محاور هيك الشعري كأحد اعلام هذا الشعر ؟

ج : هنك ثلاثة اقسام كانت وما تزال محاور لشعاري :

أنا : المرأة — الوطن — الوجود
المرأة في شعري ليست رمزا ولكنها شرارة . انها ليست الحرية ولا السعادة ولا المستقبل . انها المرأة الانسانية . امرأة من لحم ودم . تصير دافعا الى عوالم الحلم — الحرية — السعادة — المستقبل . المرأة — الرمز لم تدخل اشعاري الا على استحياء . وهي في كل الحالات على مستوى الحلم والواقع ، تظل رغبة في رحلة العذاب .

أما الوطن فانه يتهدد دون أن يفقد شيئا من العبق . انه يشكل حسيب الانتهاء . انا مغربي — عربي — مسلم الوطن عندي يظل بين يد وجزر . وأنا اركب المد ، ولذا يذبح الوطن ميرا للوجود بمفهوم الوجود — الصوفي . الوطن عندي يظل خنجرا مسافرا في القلب . كل الرياح الممدة لاقتلعه يزيده اصرارا .

س : اعتقد بأن قراء مجلة البيان ، يتشوقون — بعد قراءة ما قاتنه في هذه المقابلة — الى قراءة شيء من شعرك . فهل هذا ممكن ؟

ج : بكل تأكيد وهذا ما يشرفني . فمع تحياتي واكباري لجلة البيان ولتعاونين عليها . ولقرائنها . يسرني ان اقدم قصيدة « قراءة في ملف منسي في محكمة الاستئناف » وهي من قصائدي الحديثة العهد نسبيا .

احمد الصلح

المغرب



صحيح ان الشاعر لا يكتب لنفسه وانما يكتب للناس وهذا يتطلب ان تكون لغة الشعر مفهومة عند من يكتب لهم . ولكن يجب ان لا يغيب عن البال وضعية المواطن العربي عموما واقصد هنا وضعيته الثقافية . ان الامية لا زالت منتشرة وكذلك قل عن انماط التعليم الرسمي الذي تستبعد مثل هذا الشعر الجديد . ماذا ما اضفنا لبعض ذلك هيمنة اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية على القارئ المغربي . اصبح الوضع اكثر تعقيدا ! ولكن في المقابل فان الشاعر الحديث مطالب لتجاوز الانساق وعلائقها القاموسية الى اللغة . الغام . انه يتجاوز ما تعارف عليه الناس من وجوه البلاغة الى لغته الخاصة وهي طريقة تعبيره . ليست هذه دعوة الى الغموض المغلق او الإبهام . ولكنه الغموض الشفاف الذي تفرضه لغة الشاعر الخاصة . وفي هذا المجال يجب التفريق بين ما يظهر على الساحة الادبية من طغليات ادبية لا نحل شيئا من الفن وبين القصائد ذات الغموض الرضي . وكقياس سليم دائما : ان القصيدة الناجحة تعتمد على طرفين هما الشاعر والقارئ . انها تهرب من اصابع الشاعر ولكنها لا تكمل الا في ذات القارئ .

س : هل تعتمد بان الحركة الشعرية المغربية المعاصرة وصلت الى الحد الذي تشكل فيه رافدا شعريا متميزا انهر الشعر العربي الكبير ؟

ج : قيل الاجابة اود ان اعود الى موضوع التجديد قليلا . حين تحدثت عن الطغليات التي تصبغ الجسد الشعري في المغرب فلم اكن اقصد انني ضد التجريب او التجديد . ولكني لا اؤمن بالتجديد القائم على الصدفة . والان اعود للموضوع فاقول ، ان الشعر المغربي يستقي من حضارتين : شرقية وغربية . واذا كان الشعر المغربي قد ظل مرتبطا بالشرق العربي واقفا منه موقف التلميذ من الاستاذ . فان هذا الشعر قد بدأ يجد نفسه ويعبر عن همومه وينطلق من اسالته . صحيح ان هناك كثيرا من ائزف فيها يصدر عننا الا ان التاريخ كفيلا بالتبميز بين الاصيل والزائف ... قلت ان هذا الشعر بدأ ينطلق من اسالته . ويجب ان لا يفهم من قلتي هذا بانني من دعاة الاقليمية . فانا اؤمن ان الشعر المغربي حجر في البناء الشامخ للشعر العربي واؤمن ايضا ان مفهوم الاصاله مفهوم واسع يشمل التيار العربي الاسلامي الضارب بجذوره في اعماق التاريخ الا انني اؤمن بوجود خصائص متميزة للبيئة . هذه الخصوصيات هي التي تعطي للشعر قيمته الحقيقية . حين كانت بغداد حاضرة الدولة الاسلامية كانت مدرستي البصرة والكوفة تتسارعان بشدة . هذا الصراع هو الذي اعطى لكل مدرسة سماتها الخاصة وكان دافعا قويا

» قراءة في ملف منسي في محكمة الاستئناف «

شعر : حسن الامراحي

الصفحة الاولى

يا مولانا
هذي سنة اخرى عفاء
لكن دزاع هذا الوطن المظهور
في نعمائك سوف تفص العالم
كل العالم
بالخير وبالبركات
[صوت ياتي من الداخل :
سنوات الجذب طوال
سنة تقو سنة
ومزارع هذا الوطن المقهور
لم تعرف منذ دهور
ما معنى الشمس ومعنى القمح
وبيادره
لا تعطي غير الجرح ، الجرح ، الجرح . ج .

الصفحة الثانية

قال الحاكم والمحكوم بأمر الله :
دقوا الاجراس
دقوا الاجراس
وليشتر في كل الصحف اليومية
في كل الاعلانات الرسمية :
هذا زمن فيه يفاغ الناس
هذا زمن فيه يفاغ الناس
هذا زمن فيه يفاغ الناس
وبأمر الحاكم والمحكوم بأمر الله

ندى — نقول الاجراس :

هذا زمن فيه يفاغ الناس

زمن فيه يفاغ الناس

فيه يفاغ الناس

يفاغ الناس

الناس

الناس

الناس !

يا يوسف قد صدقت رؤياك

يوما

يا يوسف قد صدقت رؤياك

لكن الرؤيا يا يوسف لا تصدق

في كل الازمان

الصفحة الثالثة

الحارس يهتف في الطرقات :
بشرى لكم يا فقراء البلد المكادح
بشرى لكم
فولي اهوركم الصالح
في ذكرى مولده الالف
سيوزع اطباقا من اقمار الصيف
صوت ياتي من الداخل :
كوني يا اقمار الصيف كساء
كوني يا اقمار الصيف غطاء
كوني كسرة خبز
كوني جرعة ماء



الدكتور لويس عوض

بمعلم الدكتور
جليل كمال الدين

مهما قيل عن الدكتور لويس عوض
من اقوال متضاربة متباينة في ابحاثها
ودلائها ، فالدكتور عوض مثقف كبير ،
واديب رفيع القدر ، وناقد مرموق
الحس . ومن يتصدى لرصد هذه
الحقبة من تاريخنا المعاصر في مساراتها
الثقافية وتياراتها الفكرية ، فسوف
لا يني عن التوثيق او الاشادة البالغة
بمجهودات هذا الناقد واهتماماته
المتعددة واعماله الجادة .

والحق يقال انه يمثل بصورة
واضحة بللمسة لا تحتل اللبس ،
النهضة المخلصة لاستاذية الدكتور
طه حسين واضطلاعه بالريادة
الفكرية في اوليات هذا القرن ، وقد
يعوده مشابهة العقاد في موسوعية
وكافة بمعالجة موضوعات مختلفة ،
ونبيان ارائه وافكاره ونظرياته
بصددها او بشأنها في غاية من
النفاذ والدراية والاجتهاد ، اما

من
اعلام
النقد
الحرجي
المعاصر

كوني ...
كوني ...
كوني ...
آه يا اقمار الصيف ..

الصفحة الرابعة

— من أنت ؟

قد مات زهران الخوف وهات الصمت

يا هذا .. قل من أنت ؟

قال الشخص المشنوق بحبل المعدل :

— سلبوا ارضي

سلبوا ارضي

لك ان تذهب ... أنت بريء

— لكنهم سلبوا مني الارض

— اسمع : هذا زمن المعدل

لك حق النقض

— فلا تستأنف

قال القاضي الثاني :

خمس سنين نافذة وغرامة

لك حق النقض .

قال الشخص المشنوق القول الفصل :

فلا تستأنف ..

صفحة خارج الملف

كانت اقمار الصيف تحط على يده اليسرى

وشمس الصيف تحط على يده اليمنى

كانت كل علامات الدرب تقول له :

قف ... قف ...

اللافتة الحمراء تقول له : قف

مقصلة الجلائد تقول له : قف

اجراس الشنق

أبادي الخنق تقول له : قف

أوسمة المجد

نباشين الحرب الماردة الاعضاء

المتينة الاعصاب تقول له :

قف

كانت كل علامات الدرب تقول له :

قف ... قف ...

لكن الشخص المشنوق يقرر

ان يستأنف

ان يستأنف

ان يستأنف

مع المفكرين وقادة الأحزاب ، وكفاحه في سبيل حل المجتمع على احترام مهنة الكتابة واعتبار الكاتب انسانا جديرا بالتوقير والاحترام . وتنسى مع انسيائك في قراءة مقالة سموت هرزل ان الكاتب في موقف اللناح المفجوع ، بغياب الرائد الذي اغنى دهنه بؤلماته الاولى .

ولعل اهتمام الدكتور عوض بالكتابة عن سيرة اجد غارس انشدياق ، هو من قبل العزاء بها امتحن به من معارضات وخلافات فكرية شائكة . فيرى ان له نظراء واشباها في تاريخ الثورة الفكرية وزمان تصاعدها وانحسارها .

فهما كان للشدياق من تأثيرات بعيدة عبر مؤلفاته ومواقفه وصداقاته مع رجال الكهنوت المسيحي في القرن التاسع عشر على بقولات الفكر العربي الحديث وفاعليها في تحديد خصائصه ، فمنة سبب خفي يحمل الدكتور عوض على دراسته وتحليله : «لانه رجل مباحس الحبيبة ، كثير التنقل ، لاذع السخرية ، الى حد المرارة ، وكثير السدام بالناس ، وان اسلوبه تميز بالبداعة .. وروح السخرية النادرة التي جعلته الى اليوم اعظم كاتب ساخر في الادب العربي قديمه وحديثه .»

ويقول الاستاذ محمد مندور في معرض الاشارة بدور صديقه الدكتور عوض في حركة النقد الادبي والفني الذي يقوم على الفهم والمعرفة ، فاني لا اتدري ان اضعه على حركة النقد المعاصرة داخل مدرسة النقد التفسيرى ان لم يكن ممثلها الصحيح لان النقد كما هو مفهوم تفسير وتقييم وتوجيه للادب والفن .

المذهب الواقعي للانحسار والثلاثي ، نتيجة شعور اصحاب المذهب والطاقت الفنية بالضيق والاختناق ، اراء ما تطلبته به الواقعية الادبية من اندفاع في التعبير عما يخالجه ضمائرهم ويساور نفوسهم من ردد لواقع لا يمثلوه بصورة كافية ، او يتعاطفون معه تعاطفا مخلصا ، مما اوفى بهم على الزيف والافتعال (في اعتباره هو ، طبعاً !) .

وفي تلك الفترة قدر له ان ينازل اكثر من خصم ، ويصاوم اكثر من ند ، فالتقليديون يسفون اراءه بخصوص تائر المعري مؤلف رسالة الغفران بالثرث اليوناني ، ومحاكاة شعرائه في وصف مشاهد التنعيم والجحيم ومحادثة الشعراء والملاسفة ، على حين اتهم بتكرور ان يكون لابي اعلاء سابق الاطلاع على معطيات الفكر اليوناني ، وان رسالته نتاج عبقرية ، وانه يمكن لتكررها ، في حقبة ما ، ان يزدهر ، دون ان يستقي من ثمرات عقول الجعاعات الاخرى .

وكذلك جاءت عشرات المقالات التي كتبها في غمرة امتحان المعادوات الفكرية ، والتي تقيم : من خلالها ، الاعمال الشعرية والقصصية والمسرحية والترائية ، منطبعة بهذا المباح الفني الرائع الذي يسميه : فن الانسجام ، الذي يميزه عن الادب الضاحك ، فالاول هو العاطفة الهادئة بعد ان تهذبت من الكراهية والقسوة ، والثاني ابقى على القذف والستم منه الى القتل والتشذيب .

فموت العقاد يعني بالنسبة للاستاذ عوض موت هرزل القرن العشرين . ويعتمد هذه النسبية الطريفة عنوانا لمقاله الشهير في تقييم العقاد ، واستعراض مراحل كفاحه الادبي والسياسي وصراغاته

منهجه غيتراوح بين الليبرالية والمادية ، ولكنه ، على العموم يدور في اطار الفكر العلمي ، دون ان يمثل بالضرورة ، في كل الاحيان ، تنبيلا دقيقا ، صائبا .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة ان قلنا ان دراساته لاعلام الادب الاوروبي المعاصر كجوسى وبرناردشو وايليو وويلز ، وتعريفه بنتائجهم الحية ، وكذلك تقديبه الضافي ، سرحية الشاعر شلى المعروفة - بروميثوس طلبا - بعد ترجمتها الى اللغة العربية ، حيث عرف بالمذهب الرومانسي وتناول ميزاته التعبيرية وخصائصه الفنية ومسامينه الفكرية بالاماضة والاسباب . من خلال دراسة الاوضاع التاريخية التي سادت المجتمعات الغربية في اعقاب النهضة الصناعي (النهضة الصناعية) وتساعد نفوذ الطبقة البرجوازية تقول ان هذه الدراسات المبدعة حقها ان تحفظ لصاحبها مكانة كبيرة في نفوس المثقفين .

فقد طالعهم في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة ، وكان لا بد لادينا وفكرنا ان يشهدا تحولا في المعطيات والموجيات ، وتجددوا في الاساليب وطرائق تناول والمعالجة ، وانفتاحا على تيارات الادب الغربية ومسايراتها . وصارت غاية المثقفين التوفر على رصد الواقع الاجتماعي بصراغاته وتناقضاته ، قصد الانتقال به نحو التجديد والتغيير .

وقد اصدر الدكتور عوض في مطلع الستينات كتابا عن «الاشتراكية والادب» ، دعا خلال فصوله وابحاثه الى الاحياء الرومانسي في مجال الخلق الفني ، بدعوى جنوح

ان الواقعية ذاتها لا تضيق بالرومانسية ، وان الرومانسية مجردة من المضمون الواقعي هي ادب خيالي اسن الماء ، تخلفي الاتجاه . واذا كانت البسودات الرومانسية تلك التي اشار اليها الدكتور عوض ، تدل على شيء ، فهي تدل على ان الصراع بين الرومانسية والواقعية مستمر ، ولكن تلك البدوات لا تدل على الاعماق ، بل تنبئ بظواهر الاشياء ، والفارق كبير بين الظواهر - الفقايع الاملية . وبين الاعماق - الاصيلة المستقبلية (التي لها كل المستقبل) .

والحق اننا ننظم الرجل اذا قلنا انه انقلب داعية الى الرومانسية . او انه تخلى عن كل نضاليتيه واميائه بالاشتراكية . فمع ان البرالية تسلك ، والحق يقال ، الى ذهنية الدكتور عوض والى نقداته ، الا انه ظل ، في جوهره ، مع الواقعية ، مع المادية ، مع الحرية ، وكان ممن اول غاضحي الجوهر الامبريالي لـ « حوار » وصلتها لوكالسة المخابرات المركزية الامريكية ، الامر الذي عرضه في السيناتات الى هجوم شديد من قبل اساطين الفكر الامبريالي - الصهيوني - الرجعي . وفي احدث كتاب له صدر عن دار الاداب بعنوان « ثقافتنا في مفترق الطرقت » اذ ان الدكتور عوض الرومانسية بقوله في حديث له عن ادب المراتي والخيبيسي : فقد استبان لنا منذ ه يونيو ان العصر لا مكان فيه لكلاسيكية الكلاسيكيين ولا لرومانسية الرومانسيين . ولا زال هذا الناقد المفكر محسوباً على اليسار عموماً .

الاشتراكية وموقفها من الادب . وكذلك عند الديالوج والمونولوج يتصل بمعنى اللامعقول . والمدارس الادبية الجديدة في الغرب ربما فسي اوروبا وامريكا التي زارها الدكتور عوض موقدا او مندوبا لمصر . ومن المهم ان نقول انه بدأ في الاونة الاخيرة يبتعد عن المفهوم الواقعي العلمي للادب فجعل ييشتر بما سماه انخسارة الواقعية . وبالاخصاء الرومانسي . او الرومانسية الجديدة او بان « الخيال يفر منه الواقع » . وقد قال في « ملحقات الاحرام » ١١-١٢ (١٩٦٣) : « هناك اذن زحف رومانسي بعضه مستتر وبعضه صريح ، وبعضه مختلط لا يعرف بعضه من البعض الآخر ... ولكن لم يخرج الى العلانية السائرة الا في جرائبات ثوبت عكاشة . وفسي « ارغن » حسين عفيف مؤلفي « جبهة الغيب » لـ « ليلين هاريس » وفي « المساء الاخير » لـ يوسف الشاروني . ولا ينبغي ان نجزع من هذه المقولة « العوضية » ، ذلك ان عوض نفسه يحتفظ ، فيستدرك على كلامه ذلك بالقول : « والحق ان المستقبل وحده هو الذي سيثبت لنا ان كان هذا البعث الرومانسي مجرد انتفاضة عابرة ، ام اننا مقلبون على مد رومانسي عظيم . . فاني اخشى ان تكون هذه الارهاصات الرومانسية مجرد فقايع لا تثبت حتى تذهب هباء كازيد الماور فلا تخضب شيئا فسي ادبا ولا تعمق مجرى الحياة » .

اذن كان الدكتور عوض يريد من هذه « البدوات الرومانسية » التي سماها « احياء رومانسيا » او « زحفا رومانسيا » اخصابا للحياة في الادب المعاصر ، ونهوضا به من واقعه . وكان على الدكتور عوض ان يؤكد

والاتجاه التفسيري في النقد لا يخلو من بعض المزايا والاثار ، وكثيرا ما يستائر باهتمامات اساتذة الادب ، فانهم كما يقول مندور ، يعنون بدراسة المؤلفات الادبية لاعادة فهمها وتفسيرها وتوليد الجديد منها في ضوء ثقافتهم الواسعة ، وخبراتهم ادائية التجدد .

وهم بفضل هذه الدراسات قد يعيدون خلق تلك الاعمال الادبية انقدية باعاطائها مفاهيم جديدة ربما لم تخطر لكتابتها القدماء ببال ، ولكنها لا تعتبر غريبة على اعمالهم الادبية ، وان ظلت كائنة خلف سطورهم وفي اعماق مؤلفاتهم ، حتى يجيء اساتذة المحدثون فيستخرجونها منها وكأنهم قد خلقوها خلقا جديدا . وهذا ما فعله عوض في دراساته ومقالاته في الادب الانكليزي والفتيات الصافية التي يكتبها لترجماته العديدة ، مثل القدمة التي خص بها كتاب « فن الشعر » للشاعر اللاتيني الكبير هوراس ، ومقدمته لترجمته رائعة شلبي « بروميثوس دليتا » ، وتدخل في هذا النطاق مقالاته العديدة عن دواوين الشعر ومجموع القصص القصيرة والنتائج المسرحية مما نلاحظه في كتبه « دراسات عربية وغربية » ودراسات في ادب الحديث ، والجنون الفنون في اوروبا ٦٩ ، و « الثورة والادب » ، و « المؤثرات الاجنبية في الادب المصري الحديث » و « ثقافتنا في مفترق الطرقت » ١٩٧٤ وغيرها .

ان الناقد لويس عوض مهم للغة بمرصد النزعات الجديدة في الغرب ، فقد وقف في كتابه « الاشتراكية والادب » عند ظواهر جديدة (او يחסبها هو جديدة) في تفسير



العيون المطفأة

نسيني ... ؟!

وماتت الحروف في فمي

وماتت الرواية

وللم مساء ما لدي من دموع

وأعلن النهاية .

وانطفأت العيون .. يا صديقتي

تدحرجت بجانب المساء .

يا هول ما يشدنا في أول الحكاية !!

تستيقظ الساعات حبلى بالنغم

خضراء .. يا صديقتي

كلون حينا القديم

كطعم شوقنا الذي هرم

وأفرضت في جوفه حكاية حزينة .

يا عمري الوحيد

يا عمري الذي رضيت ان أعيشه .. بلا ندم

اليوم ... ،

اودعناك التراب

وكل ما بداخلي .. ندم !!

... .. .

وذات يوم

جميع ما لدي من كنوز

بذلتها ... ،

ما هنيئ أن احصد الحار والصرف

او أن أعود بالحصى

وكل ما بذلته .. تحف ،

يا عمري الوحيد .. ،

لأنني فجعت في الزمن

وزوق الخيال عالمي

لأنني حسبتهم في معبد الغرام يعشقون

ويعبدون حبهم

واتهم ... ،

ينون في الحياة سلما

ويرتقون !

لكنما الخيال — يا صديقي — توسد التراب

وعاد بالأسى !

وفوقه .. يردد الغراب :

(لآنك الوحيد

لآنك الوحيد في عالم الإحباب

تقدس الهوى

وتعشق الصحاب)

وجاضي الجواب :

(بغير ما اكذوبة ومخلب وناب)

وقهقه الغراب :

(لآنك الوحيد

رجعت للتراب)

وانهارت الحياة .. يا صديقتي

في هوة المصير

توشحت بخيمة السواد

وانطفأت العيون

تدحرجت بجانب المساء

وللمت شعاعها الآخر .

أحمد الحوتى

— القاهرة —

الطفل والعالم التقني

تلخيص وترجمة: أميرة عساف

للمغارات . ومن نافلة القول تبيان الدور القائد للآلات في مجالات حياتنا. ان الطبيعة تقدم لنا وانرا من القوى والمواد ، الا ان هذه لاتوضع في خدمة الانسان الا اذا خضعت الى عمليات تحويلية شاقة ومعقدة . ولنفكر على سبيل المثال في الخشب والحجارة والمعادن والفحم . في الرياح والمياه . ان تغذية انسان الحاضر لا تتم الا باستخدام العقل التقني استخداما رفيعا وتقنية الآلات تكون اساس مدينتنا .

فان صفت حواس الانسان نجد الادوات تسد ثغرة النقص الحاصل. ونجد تحت تصرفنا عديدا من الوسائل من اجل سبر غور المعرفة والشفاء من الامراض والوقاية منها. لقد تجاوزت الآلات حدود المراقبة الطبيعية ويستطيع الانسان بمعونتها التعرف في اعماق الكون والتقيب عن المعادن وتحليلها والتعرف على سير وظائف اعضائه .

٢ -

لنتجه شطر وقائع تطور الطفل يتضح لنا صلة التعليم التي لاغني عنها بالادوات التعليمية ، فمنذ الايام الاولى للولادة يتحرك الطفل الناشئ ويبحث في محيط المصنوعات . قتالة هذا نقل التواءات مع الطبيعة بشكل ملحوظ ، هذا يصح قوله ايضا على الطفل في الارباب .

ان لعب الاطفال يندر ان تمت بصلة الى الطبيعة ، ان الآلات تجزئها والشركات تصدرها . جميع الادوات التي نستخدمها في حياتنا اليومية هي من منتوجات الصناعة كذلك الامر. ان الامكنة التي يمارس فيها الطفل الوليد حركاته الاولى تنقسم ببنية تقنية ان ما يشاهده الطفل وما يمسك به يحركه يستخدمه بصطبع بصيغة فنية ما عدا بعض الشواذ .

الفيزيائية والكيميائية الهامة وتقنيتهما .

في هذا المجال لا نخوض بحث طبيعة القيم التعليمية التي يمكن تطبيقها في الشكل التدريسي . ان الشك الذي ينبغي ان نبحث فيه بالتالي وينسب الى التفاصيل المنهجية ، انها ينصب نحو الاطار التعليمي ككل . فالسؤال إذًا : هل درس الطبيعيات يتناسب مع علاقة الطفل الاساسية بالعالم الواقعي ؟ بتعبير اخر هل تتناسب هذه الدروس مع التطور ؟ ان الطفل ينمو في ظل واقع الانسان العملي . على هذا علينا في البدء ان نهتم بالمضامين التعليمية التي تجتم ضمن هذا الاطار ميزة اساسية من ميزات الانسان تكمن في تعلق وجوده بالآلات . انها تضمن له بقاءه وتشكل غاية ووسيلة للتلاميذ باعماله . انها توجد بصورة مستمرة حاجات جديدة وغرض

١ -

ان مادة الطبيعة التي تدرس في المدارس العاية تفصح عن منبعها من نظام علم الطبيعة . وتتضمن هذه المادة معلومات عن قانسون الرائعة والحرارة ومفاهيم الكهرباء وانكسار الضوء وتكون المواد الملحقة وتركيبات الفحم والمعادن وغيرها . من الضروري توجيه الطفل لجمع ملاحظاته حول الظواهر الطبيعية وتكوين مشكلة والتساؤل عنها والتوصل الى علاقة قانونية من خلال القيام بالتجارب اللازمة . تدريجيا نأخذ بيده لتطبيق هذه الامور في المجال التقني وفي الحياة اليومية .

ان الجهد المنهجي الذي يبذله المدرس يتوجه بالدرجة الاولى شطر وسائل توضيح المعرفة المكتبة في المفاهيم كما شطر مخرس العمل الذاتي عند الطفل . وغاية علم الطبيعة يكمن في معرفة الظواهر

هكذا يتطور الذهن منذ البداية شيئاً فشيئاً في افاق متزايدة من خلال التعامل مع الواقع الفني . ان الشيء الاول في جري السيطرة على العالم يمكن في السيطرة على الاشياء . من خلال تنشيط هذه السيطرة كتكتسب خبرات واقعية بصورة مستمرة . وما ان تشتد اعضاء الطفل حتى يترك اثاراً في الاشياء وفق اوجهه عديدة . والوسيلة الرئيسية تعتمد ايد بيد وان القدم والعم يشتركان في هذه العملية . وثمة اشياء من النشاطات ، يشارك فيها جسد الطفل بكامله .

لنأمل هذه العملية واثراً على نحو اقرب . ان الشيء يضرب بالشيء ويتابع الطفل تصرفاته باثارة : فهو يتدحرج ويترفع ، يقع او يبني عمن طابعه . ويشعر بلذة متصاعدة كأنه مسبب لعمله . ان مبدأ السبق هو في الاصل مغامرة شخصية .

— ٣ —

لا ريب ان الطفل يمتلك علاقة اصيلة تنسم بطابع مميز بواقع الذي هو قيد العمل التقني . ان العامل التقني يجب ان يستبر مجالاً حاسماً للتربية الاولى . ويمكن القول بدون مبالغة ، ان هذه العملية التي تعمل على تطور الطفل لا تعد تماماً من صلب العمل الدراسي .

ومن الغريب حقاً ، ان نجد الزمن الحاضر ، الذي يأخذ سمته بكامليها من عالم التقنيات ، لا يعرف درساً يضع العلوم التقنية مركزاً له . ولا يمكن القول ان علم الطبيعة وحده يغطي هذا المجال .

ان اي معلم يلقي دروسه الاولى في علم الطبيعة يدرك كم من العسير تلقين التلمذة نظام المفاهيم الجديدة . ان ما يقترون اليه هو الجسد الاصل

بين النظرية والمعرفة الواقعية . ان اهتمامهم يزداد ولا ريب اذا ماجوبوا بوسائل ابشاحية ملموسة ، لكن سرعان ما يدركون والخيبة تملأ صدورهم ان بطل هذه الادوات لا يتوصلون الا الى نظريات . ان الاشياء التقنية لها في نظرهم شرها الداخلي الذي يمكن سير غوره . ان لم تجد التقنيات حتى الان ، على الرغم من قيمتها الشاملة في الحياة ، اعترافاً بأن تعد من الدروس القيمة التي لا يستهان بأمرها ، يعود هذا الى امور مختلفة يمكن ذكرها في النقاط التالية :

١ — ان ثقافة المعلم هي ثقافة علمية . فخلال دراسته لا يجهز التجهيز التقني والتمكن التقني . فان لم يبادر ويخوض بنفسه وسائل تقنية ، يبقى عالقاً ضمن اختصاصه في الكيمياء والفيزياء . ان اهتمامه العلمي يزاحم في حالات عديدة انغماسه في معضلات تربوية فهو يرى ان طموحه يمكن في ان تكون غرف الفيزياء والكيمياء مجهزة قدر الامكان وفق نماذج المختبر . ان الغضبية بواقع

المعقولة العملية للتلميذ يندو في تطبيق المختص انه يحسن تجنبه اكثر مما يعد واجبا .

٢ — ان المناهج التعليمية تشدد دوماً على توجيه نظام التعليم وهذا لا يتم الا وفق الاطر التقليدية ، وما يؤول ذلك هو القناعة ، ان السبيل المبرمج جيداً ينتقل من المفهوم الفيزيائي الى القانون الى القانون . وهو يفرض قاعدة تنقيفية صلبة .

٣ — اذا اردنا ادخال العالم التقني في مضمار التدريس يجب التنازل عن التسميات المبسطة والحادثة لعلم الميكانيك ونظرية الحرارة والبصريات والكهرباء . حتى التقسيم بين الفيزياء والكيمياء لا تناسك جنباته .

٤ — ان دروس علم الطبيعة تعتبر

التقنيات تطبيقاً لمعرفة علمية . ونظرة واحدة الى الدرب التاريخي تظهر بأن ثمة هوة تفسيرية في هذا المضمار . هناك تقنيات محترمة قبل ظهور علم الطبيعة . ان الانسان في ابداعه التقني لا يرضخ مبدئياً للنظرية كما يقدمها العلم . وفي التاريخ نشاهد ايضاً بأن غايات تقنية حديثة بعثت حوافز انبحث العلمي ، وهذا دليل على اسبقية التقنيات على العلوم .

٥ — ان الرد الحاسم على وضع التقنيات في مركز الدروس ينبع من سبب مذهبي . تميل النظرية التربوية السائدة الى القول ، ان جوهر العمل يمكن في توليد المفاهيم اللغوية ، ولما التعامل مع المواد والادوات فيلقي المكافئة الثانية . من يود ان يكون مثقفاً عليه دراسة الاعمال الادبية . ولا يعد نقصاً في التربية اذا لم يكن لديه التصور الجيد عن غرن عال او مولد كهربائي . ومن العقيم مماثلة رواية كلاسيكية مع انابيب رونجن . ورغم ذلك من يود ان يخدم من استثمر العقل اكثر ؟

ان هذه المشكلات لا تمت بصلة الى الدرس المختص فحسب ، انها تخص وجهة تربوية تهدف الى العمل الحيوي الذي تمارسه الشبيبة . ان انسان الزمن الحاضر لا ينفصل عن الواقع التقني ابداً . ان المسألة الحاسمة لتكليف حياته تكمن في التساؤل عن نجاحه في مشاهدة هذا الواقع ومجابهته بالتقييم الجيد والاختيار الصائب . ان السيطرة على العالم التقني هي الفرصة الوحيدة لمواجهة استبعاد الانسان التقني على نحو مثال . ان مدرسة نقلت أهمية واجبة للعلاقة بواقع الحياة الحاضرة لا بد لها ان تجد الوسائل والسبل لاتجاز مساهمتها في هذا الواجب النقائي .

تقرّص على الجرف ، وانتصبت
عصا الصيد شاحسة ، ينكر ظلها
فوق امواج الماء . والخيط يتدلى من
طرفها السائب ، عموديا الى الاعماق
حيث الامل .

كانت نظراته تنصب في نقطة ثابتة
على سطح الماء ، ترتب حركة الخيط
المشود الى اعماق النهر . ود لو
يخفت هذا الضجيج الصاحب ، الذي
راح يغمر اذنيه . تلك الضفادع اصبح
تقبقها يغيطه الان . انغام حزينة
تتسلق ظهره ، اتية من كل جهة ،
تتحول في راسه الى صراخ .

ونط راسه فجأة ، حين انفجرت
النقطة التي كانت نظراته متشبسة
فيها . رمى نظراته عبر النهر ، حيث
الضفة الاخرى باحثا عن مصدر
الغباء الذي قذفت منه الحجارة .
— الم تعلم القراءة بعد ؟
انه الصوت من الضفة الاخرى .

— من اتم ؟ صاح بجرس زاعق .
— وتسال عن هويانا ايضا ! الم
تحتمل عينك قراءة بضع كلمات
تقط ؟

اهتزت العصا الطويلة في يده ،
ثم دون ان يدري قبلت نهايتها
الماء ، وغاصت اخيرا مع
الخيط .

— ماذا تقصدون ؟ لم افهم .
— تتظاهر بالغباء ؟ ستفهم .
اشتدت اوتار حناجر الضفادع ،
وراح النقيق يترج بنغمة واحدة ،
سيفونية مأساوية صاخبة .
— لماذا تذفون بجراكم الى
الماء ؟ ستهرب الاسماك . انكم
تخيفونها .

— بدأت تمعد الولوج الى وقاحة
صلفة . سنعبير اليك . هاتوا
القارب .

وجد القارب يزحف نحوهم .
مجانبيه تضرب الماء بشراسة ،
فيطرطش الماء كراذاد مطر متساقط .
وثمة وجوه ثلاثة تثبت عيونها في
عينيه .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تلنتفها موجة ، وتلك قيدها اخرى .
فهي مع رحلة الموج ذاهبة الى
البعيد .

ثمة اصوات توصوص في راسه .
خافتة لا يفهم لها معنى . والصب
مطلق على كل جهة صانحتها عيناه ،
حين بدأتان تدوران على محور ثابت .
قوس قامته الفارعة ، وبدأ يباعد
بين الاسلاك الشائكة ، مهينا لجسده
بطاقة الاجتياز . وحين استقرت
قدماه على الارض الخضراء ، عبر
الحاجز ، غزا اذنيه نقيق الضفادع ،
الآتية من الجداول المتفرعة من
النهر .

« مرحبا ابنتا الحبيبات . اليوم
اسمع في امواتكن غير ذلك النغم
الذي الفتة اذناي !! » .

صيد السمك ممنوع

ضغطت اصابع كفة على العصا
الطويلة ، فيما مضت عيناه تحاوران
كلمات اللافنة ، المثبنة على وتد
غليظ ، متميز بفحولته عن
الاوتاد الاخرى ، التي ترتصف
متباعدة فيما بينها ، تشدها بالبعض
خطوط متوازية ، من اسلاك
شائكة .

سحب نظراته عن اللافنة . مدها
عبر الارض الخضراء ، حتى
حطت على مياه النهر ، وراحت
الامواج تحلها الى البعيد . تغوص
بين حين واخر الى اعماق النهر
لنمسخ على ظهور السمك الناعمة
او تقفز فجأة من سطح الماء ، كسهم
متحدر من قوسه في التو . ثم تعود
لتضطجع على مناكب الموج العريضة ،

عن رأسه ، فينتلع وهج الشمس
 ظلال وجهه . »
 : غير مخالف ؟
 ج : طبعاً .
 س : كيف ؟

ج : سأروي لك ... عدت مرة
 من الصيد إلى داري ، الذي استكته
 منذ سنين طويلة . حاملاً سمكة
 هائلة ، كان هيكلها يملأ قلبي فرحاً ..
 س : اختر ، ليس أنت وحدك
 من جئنا لاجله .
 ج : حسن . سأوضح لك ... لبة ،
 رغم أنني لا أبيع لنفسي ابتلاع بعض
 جزئياتها .

س : عجيب ! البست هي حكايتك
 التي تخصك وحدك ؟
 ج : إنها خاصة وعامة في آن
 واحد .

صوت جماعي : بدأت مراوغته .
 انه يغالط .

س : أما إن تسكتوا ، أو تنصرفوا
 « ينحدر من قمة التل إلى القاع ،
 ويضفي يحمل في عين الرجل . »
 : — وبعد ذلك ؟

ج : وحين أصبحت قبالة الباب ،
 وجدته مصبوغاً بلون آخر .
 س : وماذا يعني هذا ؟
 ج : لا يعني أي شيء طبعاً . لم
 انتظر . دفعت الباب ودخلت .
 س : لم أفهم .

ج : كنتم تتهموني بالغيباء .
 صوت جماعي : بدأ يتناول . لو
 يسمح الرئيس . . .
 س : لقد فهمنا .

لقطة خامسة :
 حوار تحت سطح الماء ، لا يسمعه
 الذين هم فوق .
 — بدأنا نلتهم بعضنا البعض .
 — الأسماك الصغيرة أصبحت

تخافنا .
 — منذ زمن طويل ، والذين هم
 فوق لا يبدوننا بالطعام .

مجيد جاسم العلي

— البصرة —

جلد عريض ، مرصع بالرماس .
 وآخر ينحدر من كتفه ، مضطجماً على
 الصدر حتى يلتقي بحزام الوسط ،
 عيناه شاخصتان إلى الأعلى .

لقطة ثمانية :

طيور عديدة تحلق في السماء .
 تكشف أشعة الشمس اختلافات
 ألوانها . تتكاثف على شكل مجموعات
 متراصة . بدأ بالنافر ، مبتاعدة فيما
 بينها . ثم تلتقي فجأة زاعقة الأصوات
 لمتصلد ببعضها في نقطة ثابتة . ثم
 تتناثر مشكلة حلقة واسعة فوق قمة
 التل .

لقطة ثالثة :

أربعة ظلال تمتد طويلة على
 الأرض ، صامتة في زحفها نحو
 المنحدر . وظل نحيف يشاركهم
 المسيرة الصامتة ، يتلمس هيكله
 بين حين وآخر .

لقطة رابعة :

س : من أنت ؟
 ج : رجل يصطاد السمك .
 س : هوبك واضحة من عصا
 الصيد . لم أقصد هذا .

ج : لم أفهم .
 صوت جماعي : هو لا يفهم دائماً .
 س : سيفهم .
 ج : لم أفهم .
 صوت جماعي : يقصد انه لا يريد
 أن يفهم .

س : دعوا الامر لي . ألم تقرا
 اللقطة ؟

ج : قرأتها .
 س : والأسلاك ؟
 ج : رأيها .

صوت جماعي : قال انه لم يقرأ
 اللقطة .

س : اصمتوا . قرأت اللقطة .
 ورايت الأسلاك إذن ؟

ج : أجل .
 س : تقر أنك مخالف ؟
 ج : لا .
 س : « ناهضاً وهو يرنع القبة

— ألم تقرا اللقطة ؟
 — أية لقطة ؟
 — ألم تتعلم القراءة بعد ؟
 — ماذا تقصد ؟
 — صيد الأسماك ممنوع هنا
 تفهم ؟

— ممنوع !

— أجل . وهل تحتاج هذه
 الأسلاك إلى عين تعرف القراءة ؟
 كيف تجرؤ أن تتسلل إلى المكان دون
 إذن ؟

— إذن من ؟

— من الذين يملكون هذه الأرض ،
 ألم تفهم بعد ؟

راحت يده تحرك العصا الطويلة ،
 ينقر بطرفها سطح الماء ، يبعث مضت
 عيونهم تتحفظ فوق رأسه .

— قم . سر معنا إلى الرئيس .
 — أي رئيس ؟ أراكم تزعجون .
 — تزعج ! أما مخبول وأما مغالط .
 — الاثنان براء منها .
 — قم معنا . ستفهم هناك أكثر .

— اسمع يا رجل . دك عن هذه
 الهلوسة . لعلك ، انني اصطاد في
 هذا النهر منذ سنوات عشر . لقد
 الفت النهر والفني . حتى اسماكهم
 بدأت تعشق سنارتي . وتلك
 الضفادع . اتسمعها ؟ انها تنتظر
 مجيئي كل يوم لتحبيني باغنيتهما
 القديمة . فماذا يعني امتلاك النهر ؟
 لم أفهم .

— إذن ستفهم هناك . هيا .

وحين سار معهم ، كانت الضفادع
 تودعه بنقيق يشدد جرسه ، كلما
 ابتعدت خطواته عن السواقي
 الصغيرة ، كأنها تعزف اغنيته
 الوداع .

لقطة أولى :

ثمة شخص يتفرص على تل
 مرتفع . تتركس سفحه بعض النباتات
 الخضراء . يعتبر رأسه قبعة
 عريضة ، تنشر ظلاً ثامناً على وجهه ،
 فيبدو ممسوح الملامح وقد تمتلئ بحزام

سونداري

متصلة من باريس

ARCHIVE

http://Archiveta.Sukhr.com
بقلم : توفيق مجلي

العربية الجميلة في يوم من الايام . ولكن هذا هو ما تحقق فعلا .

وكأني بالقارئ وقد راني اقف هنا لالتقاط انفاسي ، يقول : « رويدك ، لم تقل لنا اولا من هي هذه الكاتبة التي تجمع بين التصوف والتأليف وقرض الشعر والتلحين والغناء بصوت حلو جميل . ما تاريخ حياتها ؟ » فزيد القارئ بيانا اذ اقول :

« سونداري » بالسسكريتية معناها « جمال الحب الهي » . وهو اسم اهداه لها راهب من رهبان التبت ، كان في زيارة لباريس فاستمع الى احدى محاضراتها ، واعجب بها سمع وبها رأى من صفاء ومن روحانية . « سونداري » هي في منتصف العمر . وتسد احسنت في اعماق كيانها بالموجود في كل الوجود ، الذي هو حب كله ، وكمال وطهر كله ، وهو الله ، فوهبت له حياتها عن طريق حبها للبشر اجمعين ، لا

لم اكن اقدر منذ خمسة عشر عاما ، وانما اتصفح كتابا فرنسيا عن الروحانية والتصوف ، لكاتبة من باريس تدعى « سونداري » انني كنت مقبلا على حياة جديدة غنية حافلة ، لا زلت احيائها التي اقرب ما يكون الى ضميري ، كما يحياها عشرات الالوف غيري من قراء « سونداري » في شتى انحاء العالم . ولم اكن اقدر اذ ذاك ان الامر سوف يصل بي الى مطالعة ستة عشر مؤلفا من مؤلفاتها باللغة الفرنسية ، والى ترجمة بعضها الى العربية ثم الى السفر الى باريس في السنوات العشر الاخيرة ، لاقتضي شهرا او شهرين من كل سنة الى جوارها ، اشاطرها حياتها اليومية ، واستمع الى محاضراتها ، واشهد مولد الاغنيات التي تؤلفها وتضع بنفسها الحانها ثم تغنيها بصوتها الملائكي . ولم اكن انصور في ذلك العهد انني سوف اجعل سونداري تغني لنا نحن العرب بلقنتا

تفرق بين اجناسهم او الوانهم او اديانهم او قومياتهم، بل تجمع البشر كلهم في حبها لهم . وتدور اعمالها الادبية والموسيقية حول بيان الشروط التي ينبغي على الانسان المعاصر اتباعها للتقرب من جمال الله . فنقول : «نحن اثنائيون متكبرون منافقون ، لا نقول الصدق . فان اردنا الاقترب من جمال الله ، وجب ان نصلح ما بنا من عيوب . » الا ان سونداري تحبنا نحن البشر كما نحن ، وتطوف عواصم اوربوا وامريكا، ناظرة الى البشر جميعا كاخوة لها ، لانهم ابناء ابواحد ومحاوله جمع شملهم في اسرة واحدة كونية . وكل كتبها وموسيقاها هي من وحي الالهام المباشر .

حياتها :

تقول سونداري في كتابها « الروحانية في خدمة الحياة » :

«كنت دائما توافة الى الاتصال المباشر بالله . وكنت اعتقد على الدوام انه لكي يتم هذا الاتصال ، يجب ان اسعى نحو الكمال بالنظر وباصلاحي لذاتي . ومنذ ان بلغت سن التفكير ، شعرت بوجود الحياة الابدية الخالدة ، بالرغم مما كنت لشهده من حولي . فقد كنت ارى الموت ممكن الحدوث لغيري من الناس ؛ ولكن ليس لي . وكنت لا افكر مطلقا في انسه قد يصيبني . »

« وفي ذات مرة ، وانا طفلة في السادسة من العمر ضعيفة البنية ، رفضت تناول الطعام ، فقال لي احد الاقارب ونحن الى مائدة الغذاء ، اني ان لم اكل فسوف اموت . فاجبته في لهجة الجد بانني لن اموت ابدا . وانني عندما اكبر فلسوف ابتلع قرصا من الاقراص يجعلني احيا الى الابد . »

« وهذا القرص قد اعطاه لي الله كما اعطاه لكم . وهو يفتح البوابة للحياة الابدية الخالدة ، بفضل روح الله الموجودة داخلنا . »

اغانيها العربية :

لكي تعبر سونداري عن حبها للمصريين والعرب، وضعت اغنيات ذات نغم عربي ، وغنتها بصوتها باللغة العربية ، بعد ان كتبت لها بالحروف اللاتينية . ولكي تثبت حبها لنا ، تقضي الساعات بطولها تحفظها وتتعلم النطق بها . وقد تمت بتسجيل هذه الاغاني في باريس بعد ان اودعت بجمعية « مؤلفي وملحنين الموسيقى بباريس » (سونداري عضو بها) ، واذيعت مرارا من محطات الاذاعة المصرية . ومنها المقطوعتان الاتيتان :

صلاة عربي

في الليل والنهار

كانني في النار

لأنني اهاوك ولا القاك

فما كنت نلت رضاك
ولم ادر ، مدى عمري
انك لي مدى السهر .
والجنة ، يا ربي
مكاتها ايضا قلبي .

سكنت في هواك
مسالك شتى
اغفري سواك
وبغيتي انت

اما الآن ، يا ربي
فالنور قد ملا قلبي .

سرت معي ، يمينك في يدي
وفي الطريق الوعر كنت قاندي
فيه اليك اهتدي .

من الآن ، يا ربي

حيانك ملا قلبي

انت الهنا الاصيل

لك قلبي يميل

انت لعيني النور

انت مدير الامور

كل الدهور

يا من سمعت لي الدعاء

يا من اجبت لي الرجاء

من الآن ، يا ربي

الحب مالي قلبي .

احبك يا الله

احبك يا الله

اعبدك يا الله

من كل قلبي للأبد .

تمال يا الله

ما دريت يا الهي في حياتي ما السعادة
كم بقلبي من انين ، كم هو عطشان
بنشد السلام ... كم له احلام
كل ما يرجوه قلبي ... فيك يا الله .

كان حتما ان اسير في دروب الارض طرا
قبل ان التي عصاي في رحاب الله
لكن الهوى ... قلبي روى ...
فغدا القلب مليئا .. بك يا الله

قد عرفت كيف احيا وفؤادي في سعادة
عند ربي كل يوم لدى الايام :

اصح الميوب ... وكل الذنوب

في فؤادي ، في حياتي .. وعنها اتوب .

ولسونداري مقطوعات عربية صوفية اخرى ، منها

« الحمد لله » و « اعيش في هداك يا الله » و « راح عمري » و « ليس لي احلى من هوك » و « عونك يا الله » و « لك مني ان اغني » و « مني من مصر » وغيرها .
وقد سألت سونداري هذا السؤال :

— هل يمكن ان تعطينا فكرة عن طريقة تأليفك للناشيد التي تلقينها باللغة العربية ، وكيف يتسنى لك التغاؤها بالعربية دون معرفتك بهذه اللغة ؟
فاجابت سونداري :

— اني لا افعل شيئا ، لان الله هو الذي يفعل كل شيء . ولا يمكنني اعطاؤك فكرة ، لاني لست شيئا . الله هو كل شيء ، هو الذي يلهمني بكلمات اناشيدي وبموسيقاها ، بالضبط كما يلهمني بالكتب التي اولتها وبالاحالات التي اكتبها . وبالاحاسرات التي القتها . اني لست شيئا وهذا هو سر قوتي . لان الكبر والغرور هما انتل الاحمال التي ينوء بها كامل الانسان ، وبجعلان من الانسان عدوا لله ولاخوته البشر ولنفسه . اما كيفية ادائي لهذه الاغاني دون معرفة مني بالعربية ، فهو اني احفظ هذه الاغاني بالعربية ، حبا مني في العرب ، ثم اغنيها لهم بقلبي كله .

بعض افكار سونداري

تقول سونداري في احد كتبها :

« ان يذوق الانسان طعم السعادة الحقبة ما دام يبحث عن اله خارج قلبه وبعيدا عنه . اذ السعادة الحقبة هي في اكتشاف « الروح » في داخلنا وفي ادراكنا ان ارواحنا قبس من روح الله . »
« لا يعرف الانسان كيف يحيا لانه لا يعرف كيف يفكر . ولا يعرف كيف يفكر لانه لا يعرف كيف يحب احدا غير نفسه . »

« ان فكرة واحدة من افكار الحب والخير ، اذا حلت محل فكرة من افكار الشر ، تؤدي الى تحول سريع في طريقة النظر الى امور الحياة ومعالجتها . بل هي حصن حصين ضد هجمات الشر . »

« ان من يحب حبا صادقا ، انها يحب في كل زمان وفي كل مكان ، حتى وان ظن ان الغير لا يستحق منه هذا الحب . فمن مميزات الحب الصادق الجوهرية نكران الذات والايثار . ومن يحب بهذا الاسلوب هو دائما سعيد مطمئن ، لان تيار الحب الذي يجري في عروقه لا يتوقف ط ، بل يجري في طريقه كل الامور التي من اجلها يتكلم الآخرون ، فيميز الشكوك والمخاوف والانتائية والتكبر والغيرة والحسد . وشخص كهذا انها يحب من اجل الحب وحده ، ولا يستطيع الا ان يحب . »

اراء سونداري في تحضير الارواح :

في احدى زيارتي لبائرس ، سألت سونداري عن رايها في الاتصال بالارواح ، فقالت :

— ان محاولة الانسان الاتصال بالارواح هو من الامور المخوفة بالخطر . لان الانسان الذي يحيا على الارض ليس في وسعه ان يجعل ارواحا تهبط اليها الا اذا كانت ارواحا مساوية لروحه في ميولها الارضية ، او اقل رقيما من روحه . وهو بهذه الطريقة انها يطلق قوى من عقلها ثم لا يستطيع التحكم فيها او السيطرة عليها . ان على الانسان ان يترك الارواح في مكانها ، لانه انها وجد على الارض من اجل هدف واحد ، وهو ان يتعلم كيف يرجع الى الله ويظهر ذاته ويصلحها ويصل بها الى الكمال ، لكي يكتسب كثافة روحية اخف والطف . ان الانسان لا يعرف كيف يقف على رجليه على الارض ، ثم نراه يذهب للتنزه على القمر ، ويتراسل مع ارواح العالم غير المرئي ، وتلك امور تحول بينه وبين رؤية الغرض الحقيقي من وجوده على الارض .

ارائها في السياسة العالمية :

وسألناها رايها في الخلافات السياسية الموجودة في عالمنا اليوم ، والتي تهدد السلام العالمي . فاجابت :
— ان كان الناس يعتقدون ان عليهم محاربة بعضهم البعض ، فالسبب في ذلك هو انهم لا يعيشون وفقا لقوانين العدل والحب والحكمة ، وهي قوانين يمكن ان توحد بينهم عن طريق طوبىهم . اني لاساند الكراهية التي تبدأ في الانفراد ثم تنعكس على الجماعات . ثم اني لست ضد احد من الناس ، بل انا مع كل من يتنهم الخير لادهم وللاستوائية . فالناس جميعهم اخوة ، لانهم ابناء ابي واحد . وانا موجودة بين للتقريب بين الناس ، وللمساعدتهم على اكتساب الايمان بالخير ، ومعاونتهم ايضا على عمل الخير ، فيساعدهم هذا على الاحتفاظ بالايمان ويجذب نحوهم بركات الله . لست موجودة لكي احكم عليهم او ادبهم ، او لاساند ما بينهم من اسباب الشقاق . اما الظالمون ، الملحقون الاذى بغيرهم من الناس ، والمضرون العقد والكراهية في قلوبهم ، فلسوف يلحقون الشر بانفسهم عاجلا او اجلا ، لانهم يحركون قانون التعادل فيحصدون ما زرعوه .
— سونداري ، هل تشتغلين بالسياسة ؟

— نعم ، اشتغل بسياسة واحدة ، وهي سياسة الحب الغيري . فالناس بوجه عام متقلبون ، فكثيرا ما يتنهون باحراق ما عبدهم ، ثم يعودون ثانية الى عبادة احرقوه . واذا بقي الانسان ظالما غير طاهر فلن يكتب الثبات او الدوام لاي شيء يشرع في اقتابسه او بنائه . ولكي يستطيع ان احب الناس جميعهم ، يجب ان اكون معهم جميعهم . فليست ضد اي شيء من الاشياء سوى الشر ، الشر الذي يلحقونه بانفسهم وبغيرهم عندما يمتنون في قلوبهم الافكار الشريرة والعواطف الشريرة والغرائز الشريرة . ان كل البشر هم ابناء ابي ،

وانا احبهم جميعا كاخوتي . ولكني لا اقر انشر ايا يكن
مصدره .

مؤلفات سونداري :

كتبت سونداري ما يزيد على الستة عشر كتابا
بالفرنسية ، ترجم معظمها الى اللغات الانجليزية
والالمانية والاسبانية والروسية . واهم هذه المؤلفات
هو :

الروحانية في خدمة الحياة — الإصلاح الذاتي —
تغذية الانسان للنهوض بالصحة — لا تترك بعد — رد
اعتبار الانسان — كيف تقضي يوما سعيدا — الروحانية
الحية — على الارض كما في السماء — في رحاب الله —
افكار — القلق الذي — رسائل موحى بها — الى جميع
ابناء الارض — قصة رسالة .

قصص سونداري :

كتبت سونداري قصتين طويلتين ، احدهما
بعنوان « ماجدة » ، او نهاية حكم الوحش » والاخرى
بعنوان « شركة اللاقيديسين » وكلاهما تصلحان لان
تكونا موضوعا لفيلم سينمائي .

اما القصة الاولى ، فتحكى احداثها حياة فتى وفتاة
يربان الهدف من وجودهما صل كيانهما الخلقي والروحي
كما يمسك التجار قطعة الخشب . وقد لقيت نجاحا
ساحقا في فرنسا وسويسرا وبلجيكا وامريكا الجنوبية
والوسطى . وقد دار بين سونداري وبينها الحديث التالي
بشأن هذه القصة :

— س هل لك ان تعطينا فكرة عن روايتك « ماجدة
او نهاية حكم الوحش »؟

ج — هذه اول قصة اكتبها . وفيها الحق الالهي
في صورة جذابة لأولئك الذين لم يسلكوا بعد في طرق
الله . وهي تحتوي على رسالة ويمكن ان تنفع امانا
جديدة لن يقرأونها وتجعلهم يميلون للاخوة الشاملة بين
الناس ويحسون بحياة ارواحهم .

س — لماذا كتبت قصة ، بدلا من ان تكتبي كتابا
ككتبت السابقة ؟

ج — الكتب الاخرى هي من اجل السالكين في
الطريق الروحاني ، ولكني اردت نشر التعاليم الروحانية
بين الناس لانها صالحة لكل سكان الارض . اردت
نشرها حتى بين اولئك الذين لا يعرفون الله او لا يريدون
الله . لان الحوار الذي يدور بين شخصيات الرواية
يمكن ان يوقظ فيهم الاحساس بالحياة الروحانية ، هذا
الاحساس الذي تمنعته حياتهم المادية من الشعور به .
وفيها يلي فقرات من هذه القصة ، في حوار يدور
بين بعض شخصياتها : جان (وهو احد شخصيات
الرواية) مخاطبا بطل القصة دومينيك :

— لو كان ابي عائشا لتبعك .

— دومينيك — لا اريد ان يتبعني احد ، فلو اردت
ذلك لكان هذا مني عملا انانيا . حسبي مساعدة الناس
على اتباع الله .

جان — يسعدني الاستماع اليك وانت تعبر عن
افكار احسن بها في اعناق نفسي . ففي رأيي انه لا يمكن
ان يكون هناك ارتقاء بشري الا حينما توجد الرغبة في
الكمال وفي السمو الروحي وفي التطهر وفي اصلاح
الذات .

دومينيك — هذا امر طبيعي . ولو فكرنا قليلا
لراينا ان انسيب الحقيقي لما نعانين من شقاء ومن مرض
والم هو في مخالفتنا لقوانين الله .

جانك (شخصية اخرى في القصة) — اما انسا
فافضل اتباع المثل القائل « لنأكل ولنشرب ولنلثه الى
اخرك . نفدنا نموت » . وما دام الامر سونا في موت ،
فعلى الاقل لن اسف على شيء . اريد النمتع بكل ما
يشع رغباتي .

دومينيك — هل تعتقد انك سوف تستطيع ان تقاوم
طويلا هذه الحياة القاتلة على الاكل وعلى الشرب وعلى
ما تسببه بها الى اخرك ؟ لو كان الامر قاصرا على الموت،
وعلى الموت بسرعة ، لكان هذا امرا هينا . ولكنك
سوف تشهد شيئا مثيرا حينما تهاجم كيانك كله . اهذا هو
السبب الذي من اجله تعارض في كل شيء لكي تتسلم
ونتمو بطريقة قبيحة تقدر ؟

جانك (شخصية اخرى في القصة) —

— ولكن هناك اشياء اريدكم ان تعارضوها .
هناك الكذب الاجتماعي الكبير ، وهناك النفاق ، وهناك
ما نراه فمين يسعون انفسهم مؤمنين من اتباع لروح
العالم ، وهي روح معادية لروح الله . اما انا ، فاريد
الرجوع الى الله مهما يكلفني ذلك من ثمن . والسلوك
في طريقه يكامل حياتي ، كفرد يعرف الى اين يذهب ،
ولماذا يذهب .

ببير (شخصية اخرى في القصة) — لماذا ؟
دومينيك — بكل بساطة لحيي لله ولحيي لكل
اخوتي البشر في العالم ، مؤمنين كانوا او غير مؤمنين .
فالحياة الكمية في الله تحتوي على الاجابة على كل سؤال ،
وعلى الحل لكل المشاكل .

اما قصتها الثانية (شركة اللاقيديسين) فتدور
احداثها الرئيسية في مصر ، ونجد فيها ما في طبيعة
المصريين من ثقافة عريقة ومن امكانيات عظيمة للتطور .

احدث كتاب لسونداري :

واحدث كتاب لسونداري صدر بالفرنسية في عام
1٩٧٥ ، بعنوان « نحو الجوهريّة — او النشورة
الحقيقية » . وتحدث في سونداري بعمق عن
« الجوهريّة » التي سوف تحل محل « الوجودية » التي

التزود لدى سونداري باناشيد روحانية — فرنسية وعربية — وبمقالات واحاديث عن الحياة الاساسية الجوهرية . واذا رأت سونداري ان للقراء ميلا الى الحياة الروحانية ، وهي الحياة الوحيدة الصالحة والخالدة ، واذا رأت ان افواهم مفتوحة الى ناحية ملمقتها ، فليسوف تعطيمهم المزيد من الغذاء الممتليء به قلبها ، فهي تحبهم كاخوة لها ، بكل قلبها وبكل قواها .
توفيق مجلي

ادت بالعالم الى ما هو عليه الان .
وتد اعود في مقالات تالية الى كتب سونداري بالدراسة والتحليل .
الخلاصة :

لعلى — في هذه المجالة — اكون قد قدمت الى القارئ فكرة عن « سونداري » وعن اعمالها وحياتها . ولعل القراء يدركون — مما تقدم — السبب الذي من اجله اشد الرجال الى باريس مرة او مرتين في كل عام ، وهو

جزء من قصيدة

سؤالي الصعب أصغر من سأموني

واي الطيب اطول بالطيوب
وشرعه الى دنيا العيوب
يلون منه اثواب المغيب
يحملني الهموم من الخطوب
على قلبي اكنوت كل القلوب
واجعله دما فوق اللهب
واطعمه من الصبر العجيب
ولم ارجع فيا دنيا اجيبي
كشمخ الطود بالسهل الخصب
دعاب الريح للغصن الرطيب
بفرط التسود من طير طروب
ومن عيني مصابيح الاديـب
واي الطوق امتن بالكروب
وهذي الشمس تكبر في مشيبي

باي الدرب مشترك الدروب
ومن جميع التكامل في كتاب
وابقى من شروق الشمس ضوءا
يطول بي الدوار مع الليالي
كاتبتي خاتم العشاق دربا
اطاحن في رحاى لظى التشكى
واورد من ندى الاصباح عشقى
فصار مدائن الالام صـدري
انا العربي رغم الموت احيا
واسمي عند كل الناس معنى
ليسمع كل منكود غنائى
من الاصرار مخلوق وجودي
فاي الصعب اكبر في طريقي ؟
فهذا الليل يصغر في شبابي

شعر
أحمد
مطر

بين يدي الخنساء

أحمد سويلم

المحاوره :

اراه صوتا زاحفا على جبينكم .. اراه كل ما يلوح في
اكفكم ..

.....
يا رطبة العينين — كفى دمعك القديم .. ما اردت
ذكريات الحزن ان تعود

لكنني حين سمعت من شيوخنا الحكاية .

— اصبت بالجنون —

(الفارس المطمون قام من سبانه مضرجا بالدم ..

يرسم فوق درعه خريطة النار .. وطرق القتال ..

وحينما تجعب الفرسان : اقسوا .. وباعوا ..

تناولوا سيوفهم ..

لكنها كانت سيوف صدئة ..)

يا رطبة العينين .. ها نحن نجى — في اكفنا السيوف
والحنين والقسم —

وفي قلوبنا النغم ..

لا تحزني .. فنحن اطفالك .. نحن وجهك الذي ابى ان
ينهمر ..

الوداع :

مرت من هذا الجمع المذهول ..

تركت فوق وجوه المنتظرين .. الصمت .. الخوف ..

الموت .. الدهشة

انتظر — الساعة — موت الكذب .. الخوف .. الكلمات
الخربة ..

انتظر لقاء .. احرق فيه الاوراق المختزنة في صومعة
الحزن ..

تتحول كل بقاياها لكيات حارقة .. وخرائط للغد

يتحول فيها الدمع قلاع

يتحول فيها الحب وصايا ..

أحمد سويلم

— يا وجهها المسافر المجول

قف لحظة .. فكل من يمر من هنا يقف

اعطيك قبلة اللقاء .. او وصية الشيوخ .. او تهبية
الساحر للفرسان

انبأني عنك زمان الوجد .. كم يلوح سيفك — البريق —
في الميون .. كم

تخوض خيلك — الشروق — ظلمة المواقع ..

انبأني عنك زمان الجذب .. كم تناثر الدمع على
الرمال : خضرة .. وثمرا ..

وذكريات النار .. والحصار .. والندى .. والانهر ..

واعين الاطفال .. وهي تكتوي النباعا ..

وكم يلوح بين تلك الوجوه الخرساء ..

اسطورة .. وخطوة .. وساعدا .. وباعا ..

.....

بنيت لي في عالم الاحياء بيتا ..

وبين عالم الاموات مئذنة ..

سقيت من كفي الف فارس وزاهد وشاعر .. اطعمت
جيش العوز — الدهر —

لقيم في الرمال شجر الحنين والحكايا ..

اودعت صخر الصحراء شعري :

اخوض كل موقعة ..

احمل ثاري .. وغنائمي .. وثمانيني .. وسيفي

.. اليوم يا بني : احكموا حصاركم ..

شدوا على اعدائكم .. (صخر) اخي يصيح في صفوفكم :

جمال الوية

قطاع اودية

شهاد انجية

للورث طلابا

اراه في عيونكم : وصية .. ودعوة .. وثارا ..

في المذاهب الادبية



بمعلم الدكتور
شابت بداري

الادب الغربي بين حلقات المدارس
الادبية المسلسلة ، اذ ان هذا الانتقال
دليل على حيوية الاداب الغربية
وازدهار الفكر فيها (٢) .

وعلى ذلك ، يمكن القول بأن
المذهب الادبي ينشأ عن عوامل
مكرية وسياسية واجتماعية ، مضافا
اليها تطلع الجماهير القارئة وتهيؤها
نفسيا لهذا المذهب او ذلك ، وأنه
ينشأ في اي مكان متى توافرت هذه
العوامل . ومن ثم نقول : ان الادب
العربي يمكنه ان يشهد ظهور هذا
المذهب او ذلك في الوقت المناسب ،
بغض النظر عن الاطلاع عليه في

ليست مفروضة عليهم فرضا ، وانما
هي صادرة عن اقتناعهم ولانهم لروح
عصرهم ، وايامهم برسالتهم الانسانية
فيه (١) .

وتاريخ المذاهب الادبية يدلنا على
انه لا قيمة للحديث عن جمهور او
طبقة ، ولكن القيمة الحقيقية في
الحديث الى ذلك الجمهور ، او تلك
الدقيقة حين ينهض الوعي الانساني
فيها ، ويتطلع الى نيل حقوقه . ومن
هنا كان المذهب الادبي ضرورة من
ضرورات كل عصر ادبي ناهض يتطلع
جبهوره الى غايات انسانية او قومية ،
وهذا نفسه هو الذي يفسر انتقال

بتأمل النتاج الادبي المذهب ما ،
نجد انه يندرج تحت مجموعة من المبادئ
والاسس الفنية الخاصة بهذا المذهب .
وهذه الاسس والمبادئ يدعو اليها
النقاد ، ويلتزم بها الابداء في نتاجهم ،
وهي تربط هذا الادب بمطالب العصر
ونياراته الفكرية . والواقع ان كل
مذهب ادبي يمثل روح العصر الذي
نشأ فيه ، وهو بمثابة تيار عام فرضه
العصر على صفوة ادبائه كي يستجيبوا
لمطالبه ، ويقودوا قدراته ، ويبلوروا
مثله ، ويشاركوا في وجوه نشاطه
الانسانية . ومن ثم فان هذه المذاهب
الادبية لدى دعائها ومثلها الحقيقيين

الاتار الادبية الاجنبية .

ومن أهم المذاهب التي عرفتھا الادب الغربية وتأثر بها ادبا العربي او ظهرت فيه ، هي : الكلاسيكية والرومانتيكية والبرناسية والرمزية والواقعية والطبيعية والسيرالية .

اما المذهب الكلاسيكي ، فقد سيطر على الادب الاوربي منذ عصر النهضة حتى اواخر القرن الثامن عشر او يزيد ، وهو مذهب يقوم على محاكاة أدب القدامى من اليونان والرومان ، الامر الذي ادى الى العناية بالصنعة واحمال الطبع والمبقرية ، والبعيد عن العواطف الطبيعية والاخيلة الجاحمة ، فكرر النثر ، وضعف الشعر . وكان الادب الكلاسيكي موضوعيا اكثر منه ذاتيا ، لانه يهتم بالقضايا العامة ، والحقائق الجردة ، ويهمل المشاعر الفردية ، ويهدف الى غاية خلقية في كل لون من الوان الادب ، وينتج الى اصحاب السلطان ، وفي ذلك من التشنج والتكلف ومراعاة المقام ما يفضي بالادب الى الكساد والجود . وقد اهتم الادب « الكلاسيكي » بحياة المدن ، واحمل حياة الريف والطبيعة ، وتل فيه الوصف . وان وجد فهو وصف موضوعي عام لا اثر فيه لذات الشاعر ومشاعره ، ولا اثر فيه للطابع المكاني والخصائص المحلية (٣) .

ولا شك في ان نظام الاتساع والرق الذي ساد المجتمعات الاوربية في ذلك الوقت ، وهو نظام يقوم على التسلط وتوطيد عقيدة الولاة للامير وللطبقة ذات السلطان ، كان من اسباب النزعة « الكلاسيكية » الاوربية (٤) .

ونتيجة لشيوخ الاتباع والتقليد والعناية بالصنعة والبعيد عن العواطف الذاتية ، ارتفعت طموال القرن الثامن عشر صيحات تشكو تدهور الشعر . وقد لاحظ

« الكلاسيكيون » انفسهم هذا ، وراوا ان هذا الشكل من اشكال التعبير قد مضى زمنه ، وأنه يجب من الآن فصاعدا ان يترك مكانه للنثر ، وكان « بوب » يعلن انه يجب « ان نميز بين الشاعر والناظم » وبخاصة بعد ما انتشر نوع من الشعر تكثر فيه الافكار ولا توجد به الصور الشعرية (٥) . وزاد الشعر ضعفا في ذلك العصر شيوع النزعات العقلية والمادية بسبب التقدم الصناعي ، وظهور الحركات الفلسفية والفكرية عند امثال « فولتر » و « لوك » و « نيوتن » و « هيوم » الذين دعوا الى تجريد العقل وتقديسه (٦) .

وكان لا بد من ظهور تيار مضاد لهذا التيار العقلي « الميكانيكي » ، وبخاصة بعد ظهور الطبقة المتوسطة التي خلقتها الثورة الصناعية والنهضة الاقتصادية ، والتي ارادت ان تثبت وجودها في شتى الميادين ، وجذبت اليها المفكرين والادباء ليعبروا عن فلسفتها واتجاهها نحو الذاتية والعصامية ، فكان ادب جديد يعنى بالفرح والشاعرية ويهتم بمشكلات الطبقة « البرجوازية » الناشئة ، يعتد بالعواطف الشخصية والخيال الطليق ، ويلوذ بالطبيعة . وبرزت النزعة « الرومانتيكية » الناثرة على الاتباع والمحاكاة ، وادب العقل . وكان الادب « الرومانتيكي » ذاتيا في طابعه ، ولكنه كان اجتماعيا ثوريا في نتائجه وغاياته عن طريق الوعي الكامل لدى الكتاب والنقاد باتجاهات العصر الفلسفي . ثم بفضل الاهداف التي وضعها هؤلاء نصب اعينهم بالتوجه الى جمهورهم « البرجوازي » نشدنا لاقرار حقوقه الانسانية (٧) .

بيد ان هناك نوعا اخر من « الرومانتيكية » ، وهو النوع السلبي الذي يقود الناس الى التفكير في عوالمهم الداخلية، ويغفلهم بمشكلات لا حل لها الا بالتأمل والبحث العلمي.

وفي هذا النوع تتضخم الفردية ، وتسيطر « الانا » على كل اتجاهات الحياة ، وتخفى شخصية الاديب لفتده حاسة بعد النظر نتيجة لانغماسه في خرافات طبقة وانحرافها وتبزهها، وانحلال مجتمعه (٨) .

و « الرومانتيكيون » يتفنون الحقيقة ، ولكنها ليست الحقيقة التي نواضع عليها الناس . انهم يريدونها عظيمة سامية ، ومن ثم يختارون موضوعاتهم وابطالهم من تصورههم الخيالي للحياة الماضية ، او ممن خلال العالم المثالي . اما الواقعيون فيختارون موضوعاتهم من الحياة البومية ، ويتخذون ابطلهم من عامة الناس . والحقيقة « الرومانتيكية » ذات طابع ذاتي ، لانها اسيرة خيال الاديب وعاطفته المشبوبة ، وهي تختلف عن الحقيقة « الكلاسيكية » الفردية التي قد تظهر في بعض اشعار « الكلاسيكيين » المسرحية والوجدانية . على قلة شعرهم الوجداني — وذلك عندما يلعب الخيال والشعور دورها في هذه الاشعار ، اذ ان هذه الحقيقة الفردية « الكلاسيكية » لا تبعد من حقائق الناس المتفق عليها . وتختلف هذه الحقيقة « الكلاسيكية » بدورها عن الحقيقة الواقعية . ففي الوقت الذي ينفصل فيه التحليل « الكلاسيكي » عن الزمان والمكان ، لان نفس الفرد تفسر في رأي « الكلاسيكيين » بمعرفة فرد اخر ، يرى الواقعيون ان الفكر لا يفسر بالفكر وحده ، لاتصاله بالجهاز العصبي والجسم معا ، وهو متأثر بها يطرأ عليها من عوارض ، وما يتأثران به من احداث . ومن هنا كان الادب الواقعي الغربي دراسة عميقة للبيئة والمجتمع واثرها في تكوين الانسان . وراينا « بلزاك » و « فلوير » يحدداننا عن ماضي ابطلهم ومدنهم واسرهم لينتهي اخيرا الى تحليلهم وسبر افوارهم (٩) .

وقد نشأت هذه الواقعية في حوالي منتصف القرن التاسع عشر عندما أخذت الفلسفة الوضعية محل محل الفلسفة العاطفية التي كانت دعامة « الرومانتيكية » . و موجز تضايها ان فلسفة الوضعية والتجريبية ان المعرفة المثمرة هي معرفة الحقائق وحدها ، وان العلوم التجريبية هي التي تهدنا بالمعارف اليقينية ، وان الفكر الانساني لا يستطيع ان يعتمد من الخطأ — في الفلسفة والعلم — الا بمكونه الدائب على التجربة ، وبخلافه عن جميع افكاره الذاتية السابقة ، وان الاشياء في ذاتها لا يمكن ادراكها ، لان الفكر الانساني لا يستطيع ان يدرك سوى العلاقات بين الاشياء ، ثم القوانين التي تخضع لها هذه العلاقات . وفي العصر نفسه توطدت الثقة في العلم ، وانه سيحل مشكلات الانسانية ، وسارت الحركة الاشتراكية نحو التحق في بطن ضائق به بعض الادياء ، فأخذوا يصرخون عن التوجه الى سواد الشعب ضيقا منهم بعقلية الدهاء ، وفي الوقت نفسه كانت طبقة العمال قد أخذت في الازدياد ، وتبلورت حاجاتها ، فكانت في حالة توقع لاداء الادب رسالتها والتعبير عن مطالبها ، فوفق بها جل كتاب العصر ، وتوجهوا اليها . ومن هنا ظهر في هذه الفترة اتجاهان ادبيان متقابلان هما : البرناسية التي تدعى الى استقلال الفن ، تعبيرا عن سخطها على العصر والدهاء الذين يعجزون عن فهم الفن الرفيع ، والواقعية التي تمنى بالواقع وتكشف عن عيوبه . وقد عنت « البرناسية » بالشعر ، في حين عنت الواقعية بالثر (١٠) .

ويتقدم العلوم وظهور التقـ العليى جنحت الواقعية الفرنسية الى الطبيعية ، ولتأثر « البرناسية » والواقعية والطبيعية بالهضة العلمية والفلسفة الوضعية كثر توجوه الشبه الفنية بينها . ففيها جميعا الدعوة

الى الموضوعية النابعة في الادب ، والملاحظة الدقيقة لصور الاشياء الخارجة عن نطاق الذات ، والفلسفة الدشالوية من الحياة مع الثقة الكبيرة في العلم .

على ان بين الواقعية والطبيعية من ناحية ، و « البرناسية » من ناحية اخرى ، فروقا جوهرية تتعلق بطبيعة العمل الفني ومجاليه . فعلى حين اقتصت « البرناسية » بالشعر انغناي ، اقتصرت دعوة الواقعيين والطبيين على القصة والمسرحية ، وكان جمهور « البرناسيين » ممن يرقون الى تذوق الشعر الغنائي في اسى صورة ليعى ما يحتوي من مثل انسانية وصور طبيعية يستخلصها القاري من لقاء نفسه ، في حين كان جمهور الواقعيين والطبيين ممثلا في الطبقة « البورجوازية » لوصف ما فيها من شر واداء اجتماعية ، او في طبقة العمال لوصف ما هم عليه من يؤس ، ونشاد حقوقهم الانسانية (١١) .

ومن الجدير بالذكر ان الواقعية انتقلت من فرنسا الى اقطار اوروبا ، فاصطبغت في كل قطر بسبعة خاصة . وفي روسيا تحولت الواقعية الى واقعية اشتراكية نتيجة الفلسفة المادية ، وظهور الثورة الاشتراكية وهي تدعو الى انصاف الكادحين من اعمال والفلاحين ، وتبشر بالعدالة الاجتماعية ، وتدعم مبادئ الثورة الاشتراكية ، وتؤمن بالانسان ، ومبدأ التطور الى الافضل ، ومن ثم غلب عليها التناول ، واستفصل فيها القول في الصفحات التالية ان شاء الله .

ومن الجدير بالذكر ان المدرسة « البرناسية » لم تمر طويلا ، لانها قصرت همها على تصوير الحياة الواقعية في لوحات رائعة ولكنها جامدة ، اغفلت ذات الاديب ، فضلا على ان العلم والفلسفة الوضعية عجزا عن تفسير الكون بكليته ،

والاشياء بمجملها ، بحيث ان عوالم اخرى من المعرفة غابت عن المنطق والعلم ، وشعر المفكرون ان وراء الامكان الايجابي سرا لم يكشف ، ومجهول لم يستكنه ، والى جانب هذه الزمة نحو المجهول ادلى علم « النفس » بان في الانسان حالتين : واعية يدركها العقل ، وغير واعية قصر العقل عنها . وقد تكون هذه الزاوية من الانسان هي الحقيقية . وقد يكون الواقع الموضوعى سرا ، ثم ان القوة « اللاواعية » هي التي تصير اعمالنا وتحدد تصرفاتنا من حيث لا ندرى . ومن هنا نشأ مذهب جديد وهو « الرزمة » يسبر غور الذات ، و « اللاوعي » ويتجنب الواقع (١٢) .

والرزمة تتصل « بالرومانتيكية » في الحديث عن الذات ، وان كان « الرومانتيكيون » يصلون انفسهم بالحياء ، في حين يتوغل الرمزيون في تجربتهم داخل حقل الفن وحده ، كما ان « الرومانتيكيين » يثرون على مجتمعاتهم ، ولكن الرمزيين يعتزلونها وهكذا كانت الرزمة الغربية مذهباً متطرفاً ثائراً على كل ما يمت الى العقل بصلته ، مشحوناً بالمادية الغربية ، شاذاً في صورة واتجاهاته واهدانه (١٣) .

ونتيجة لاهمال الرزمة الجهور وانجاءها الى الصفة ، فضلا على ظروف الحرب العالمية الاولى ، نشأت « السريالية » التي تعتمد بغاية اجتماعية للشعر انغناي ، ولكنها اطلقت سراح الخيال من كل قيد ، واخذت تعبر عن « اللاشعور » ، وحجتها في ذلك ان عقل الانسان ومنطقه هما اول عدو للفن ، لانها يقتلان ملكة الفهم بالخيال والتعبير بالخيال . وواضح انها محاولة للحرب من الواقع الى ما يسميه اصحابها فوق الواقع (١٤) .

اما الوجودية ، فمذهب متفرع من

المذهب الفوضوي الذي انتشر في روسيا خلال القرن الماضي . ويرمي الى تحطيم كل ما هو قائم ومجود . ثم اقامة الجديد على اساس «نظيف» ، مخطته الاساسية هي الهدم ثم البناء ، او تحقيق الانسان لوجوده بالقضاء على كل ما يحول دون ازدهاره . ويختلف عن الواقعية في ان الاخرة لا تؤمن الا بالازدهار القائم على التطور . فالجديد يقوم على اساس سابقه ، وهو ينبع منه وينمو على حسابه حتى يستهلكه ويحل محله . وكل مرحلة انتقالية هي مرحلة تقديمية بالنسبة الى وقتها ، ولا بد من ان تؤدي مهيئتها وتستنفذ اغراضها قبل ان تقضي عليها المرحلة الجديدة ونحل محلها . ان المذهب الوجودي يتخذ موضوعاته الادبية والفنية من اغراض الفرد وميوله وتزواته . اما موضوعات المذهب الاخر فمختارة من واقع حياة الجوع المجاهدة في سبيل التقدم (١٥) . ذلك لان الوجوديين يرون ان فلسفة الادب تستلزم من المرء ان يحرص على قيم يحققها في المستقبل ويتجاوزها دائما متى تحققت . وهو لا يعي هذه القيم الا اذا كان منغمرا في وسط مجتمع هو فيه بين طبقة او فئته مضطهد ، ولكنه في الوقت نفسه قادر على انه لا يكون ثائرا حق الثورة الا في جهودده الانسانية المشتركة مع نظرائه من امته او طبقته والا كان متمردا ، وليس الغرض من الوعي بالحرية مجرد استغلال الفكر دون قصد الى تغيير الموقف ، والا كانت حرية سلبية ذاتية . وليس الكاتب عند الوجوديين انسانا منظويا على نفسه في عالم لا يقية فيه لسوى مصيره الفردي ، ولكنه يؤلف وحدة لا تتجزأ مع العالم الذي يعيش فيه ، وعمله الادبي ذو هدف في ذلك العالم الذي يجا فيه ، لانه مرآة لفترة زمنية يبين فيها وعي الكاتب بما يتحقق به وجود هذا الوعي الوجودي الحق المعتد به عندهم . وهذا الوجود لا

يتحقق بمجرد الكشف عن الموقف ، ولكن لا بد - مع ذلك - من التزام الكاتب في صراع يستجيب فيه لما يوجهه عصره اليه من مسائل هي منار القلق في العصر ، ومبعث الالم والامل فيه (١٦) .

وبعد ، فان الشعراء والكاتب انذين يدينون بالوجودية و «السيربالية» والتاترية وما شكلها لا يسألون انفسهم عن حقيقة الواقع ، ولا يشغلون به ، فكل ما يعينهم منه هو اثره ، هو الصورة المنعكسة منه على نفوسهم واذاهاتهم . اما مطابقة هذه الصورة له فلا تعينهم في شيء . ان الحقيقة عندهم هي الثاقبة في اذهانهم ، او المنقطة في وجدانهم ، وليس ثمة حقيقة غيرها . ولكن التقدم العلمي يدفع تلك المذاهب الفلسفية التي تنكر وجود الواقع المادي ، او تراه مخالفا للصورة المظلمة عنه في اذهاننا ، وهو ، اي التقدم العلمي ، يتم على مر الايام براهين مقنعة قاطعة بان العالم المادي الوجود خارج الذهن مطابق لصورته التي ننتجها ، ثم ان الطبيعة فتحت عيني الانسان ليعينها بها على حقيقتها . ولهذا ايضا خلفت سائر حواسه ، ولولا ان الانسان استطاع بحواسه ان يرى الوجود على حقيقته لتخطب فيه خطب عشواء ، ولما وفق في مساعيه الدنيوية كل هذا التوفيق ، لولا ان السائق يرى نور الاشارة على حقيقته لاسلطم قطاره وتهشم من اول رحلة . لقد فتحت الشعوب عينيها ، وارادت ان ترى الحقيقة فرائها ، ارادت ان تدرك اسباب شغائنا فادركتها ، وان تعرف مسببي شغائنا فعرفتهم ، وهيئات ان يستطيع احد اسدال غشاوة الجهل على عينيها مرة اخرى ، وتبويه الحقيقة عليها ، وارجاعها الى عصر الظلمات (١٧) . فكان الادب الواقعي خير معبر عن امال الشعوب في الحرية والتقدم

والرخاء ، وهو ما سنفصل فيه القول ان شاء الله .

اما عن موقف ادبنا العربي من هذه المذاهب الادبية فواضح انه لم يقم في ادبنا القديم نظائر لهذه المذاهب على حسب ما شرحنا لها من معنى ، فلم يكن يعنى نقادنا في القديم بوحدة العمل الادبي من الناحية الفنية ، وتوثيق صلاته بالمجتمع فكريا وفلسفيا (١٨) . كما « ان ادبنا العربي القديم يوجه عالم ادبا بلاطيا يعيش في ظلال الملوك والامراء . واتخذه الادباء - شعراء وكتابا - وسيلة للارتزاق وكسب الجاه والنفوذ . فلم يكن الاديب حرا في ان يكون نفسه وفي ان يغرق في الذاتية ، ومهما يكن من شيء فان الادب العربي لم يكن بمعزل عن المجتمع وما يدور فيه من احداث سياسية واجتماعية ، وان كان كثيرا ما يسف في غاياته التي ينشدها من صلاته الاجتماعية ، فبمعد الى التعلق وارضاء كبرياء الامراء والعتلاء طمعا في المال ، وقليلا ما يعلو في غايته فيوجه المجتمع وينشده الى الخير » (١٩) . وبامعان النظر في الادب العربي القديم يمكن ان نقف على ما يشبه المذاهب الفنية . ففي الكتابة مثلا مذهب « عبد الحميد » ومذهب « ابن المقفع » و « الجاحظ » و « ابن العميد » و « القاضي الفاضل » ، وفي الشعر نقف على مذاهب المبلوعين والمعنين والحكباء والمعنونين ، والمعنين بالاسلوب والمعنين بالمعنى (٢٠) . كما عرف النقد القديم مذهب القدماء ومذهب المحدثين (٢١) . وقد افرد الدكتور « شوقي صيف » كتابين كبيرين بحث فيهما مذاهب النثر والشعر الفنية في الادب العربي القديم ، هما : « الفن واداهيه في الشعر العربي » و « الفن ومذاهبه في النثر العربي » ، وانتهى الاستاذ الدكتور الى انه لا يوجد تجديد واسع في ادبنا العربي ، وان

ما أصابه من تطور كان في الصناعة نفسها ، أي في الفن الخالص وما يرتبط به من مصطلحات وتقاليد (٢٢) . وقد حاول بعض الباحثين إضفاء حجية المذاهب الأدبية مفهومها الغربي على أدبنا العربي القديم ، فزعموا أن النزعة الرومانتيكية تغلب عليه (٢٣) . وقد ناقشنا هذا الرأي في رسالة الماجستير ، وانتهينا إلى أنها نزعات فردية لا تمثل اتجاهها أو مذهباً (٢٤) ، ولا تستند إلى فلسفة فنية أو اجتماعية أو فكرية .

ويختلف الأمر كثيراً بالنسبة لأدبنا العربي الحديث ، فقد توافرت العوامل الفكرية والاجتماعية النابعة من ظروف البيئة العربية تساهداً الحالة النفسية للشعب العربي ، الأمر الذي حيا لظهور المذاهب الأدبية في أدبنا الحديث . فكانت الرومانتيكية أو الإبداعية على أثر الكلاسيكية أو الابتاعية التي سيطرت على أدبنا القديم بوجه عام . وعندما أسرف الرومانتيكيون في اجتراح الآلام والهرب من مواجهة الواقع ومسايرة أحداث أمتهم ، ظهرت الواتعية بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث نمس الوعي القومي العربي ، واستقلال كثير من الإقطار العربية ، وشيوع الفكر العلمي ، فضلاً على الاحتكاك المباشر بأداب الغرب والشرق .

وقبل أن نترك الحديث عن المذاهب الأدبية ، نجب أن نقول : أن هذه المذاهب ليست بمستقلة ككل الاستقلال ، وإنما هي متداخله يستعين بعضها ببعض ، فالرومانتيكية قد تستعين بالواقعية ، والكلاسيكية قد تستجيب إلى الواقعية ، مغفلة أحلام الرومانتيكية وأن خالفتها في طريقة التعبير . وقد نستعين الكلاسيكية بالرمزية من ناحية الموضوع ، كما في شعر « ت.س. » أبيوت . وقد تستعين الرومانتيكية بالرمزية ، كما في شعر « بردج » ،

وحتى السريالية الغامضة تستعين بالواقعية ، ونزج الحقيقي بالذاتي في سبت يعلو على الحقيقة . وقد جمع كبار الإدياء مثل « هايني » و « تشيكوف » و « شكسبير » بين المذاهب المختلفة (٢٥) .

د. ثابت محمد بذاري الرياض

(١) د. غنيمي هلال - الأدب المقارن ط ٣ ص ٢٧٤ + د. محمد مندور - في الأدب والنقد ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) د. غنيمي هلال - مجلة الآداب يناير ١٩٦١ + داود جرجس - الآداب - يوليو ١٩٥٢ .

(٣) راجع في ذلك الآداب الفرنسي للخلوى ج ١ تاريخ الآداب الفرنسي للآسون ج ١ + لويس عوض - المجلية أبريل ٥٩ + المسرحية لعمر السنوسي ص ٦٢ - ٧٢ + النقد الأدبي لأحمد أمين ص ٢٩٠ - ٣٠٠ .
(٤) الآداب الثوري عبر التاريخ - محمد سعيد الشواشي ص ٦٨ - ٦٩ .

(٥) Le Romantisme dans le litteraire Europeane, van Tiersen Sp. 114 rit.com

(٦) The Romantic Poets p. 27 - 29 .
(٧) الرومانتيكية وأثرها في الشعر المصري الحديث في الربع الأول من القرن العشرين للمؤلف ص ٦٦ - ٦٧ « مخطوط » + د. غنيمي هلال - الآداب يناير ١٩٦١ ص ٩ .

(٨) د. احسان عباس - مجلة الآيب - عدد ٣ مارس ١٩٥٤ ص ١٢ « مكسيم جوركي ناقدا » .

(٩) The problem of Style p. 29-32 .
+ قنري القنعي - مجلة المكتوف - عدد ٢٢ ص ١٩٤ « المدارس والمذاهب الأدبية في فرنسا » . + الرومانتيكية - د. هلال غنيمي ص ٨ - ٧ .

(١٠) A history of western Literature p. 295 - 296 .

+ د. غنيمي هلال - الآداب - س ٩ يناير ١٩٦١ « هل لدينا مذاهب أدبية » .

(١١) د. غنيمي هلال - فلسفة الصورة في

شعر الرنباين - المجلية - العدد ٣٢ - السبسط ١٩٥٩ .

(١٢) الرمزية والآداب العربي الحديث - انطون غطاس ١٨ .

(١٣) الرمزية في الآداب العربي - د. درويش الحنذي ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

(١٤) الاشتراكية والآداب - د. لويس عوض ص ٣٥ - ٣٦ + د. غنيمي هلال - حول اتجاهات الشعر الفرنسي المعاصر - مجلة الكلاب - العدد ٦ سبتمبر ١٩٦١ .

(١٥) الأسس الفلسفية للمذاهب الأدبية والفنية - المجلية - العدد ٦ يونيو ١٩٥٧ - الشواشي .

(١٦) النقد الأدبي الحديث - د. هلال ص ٢٤٦ - ٢٥٢ .

(١٧) الآداب الثوري عبر التاريخ - ص ٥٢ - ٥٣ .

(١٨) د. هلال - الآداب يناير ١٩٦١ .

(١٩) الرمزية في الآداب العربي - ص ٥٤٠ - ٥٤١ .

(٢٠) مذاهب الآداب - فخاخي ص ٣٥ .

(٢١) المختار من العمرة ص ٢٣ + أصول النقد الأدبي للشايب ص ١١١ .

(٢٢) براجع كتاب الدكتور شوقي ضيف « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » ص ٧ - ٨ وكتابه « الفن ومذاهبه في النثر العربي » .

(٢٣) محمى رويحي فيصل - مجلة الكلاب سبتمبر ١٩٤٦ + د. لويس عوض - دراسات في أدبنا الحديث ص ٢١٠ .

(٢٤) الرومانتيكية وأثرها في الشعر المصري الحديث « مخطوط » ص ٢٠ - ٢١ .

(٢٥) تعليق السحرني على مذاهب الآداب لفخاخي + The problem of style p. 29 - 32 + The Literature of Germany p. 191 .

